البارون دي كولاصو - ماكنمارا

الملوك المغاربة

ترجمة

عثمان المنصوري

البارون دي كولاصو - ماكنمارا

الملوك المغاربة

ترجمة
عثمان المنصوري

ردمك : 2016MO0621

الإيداع القانوني : 978-9954-567-38-8

الطبعة الأولى : 2016



Av. Hassan II Cité Al Manar n° 6/3 - Rabat
05 37 20 46 32 - 06 61 20 37 76
imprimerierabatnet@gmail.com

تقديم

يكتسي هذا الكتاب الذي أتشرف بترجمته من البرتغالية، أهمية خاصة، على الرغم من حجمه الصغير، وهو في الأصل مجموعة مقالات كتبها صاحبها في بعض المجلات والصحف البرتغالية ومن بينها (o Diario Do Governo)، ثم جمعها في كتاب صدر سنة 1906، بلشبونة، بعنوان: الملوك المغاربة[1]. وتأتي هذه الأهمية من نواحي متعددة، من بينها:

- **المؤلف:** وهو جوزيف دانييل كلاصو، سليل أسرة اشتغل جل أفرادها بالعمل الدبلوماسي منذ العقد الأخير من القرن الثامن عشر وإلى غاية نهاية القرن التاسع عشر، عندما أعفي المؤلف من مهامه كوزير مفوض للدولة البرتغالية بالمغرب سنة 1896. ولد المؤلف سنة 1831 بمدينة طنجة، وتوفي بها سنة 1907، فهو قبل أن يكون برتغاليا، ابن طنجة، وعارف بخباياها، وبأحوال الدولة المغربية، سواء من خلال تربيته ومعرفته باللغة العربية، وعادات وتقاليد البلاد، أو من تمرسه بالعمل الدبلوماسي وعلاقاته بممثلي الدول الأخرى، وبموظفي المخزن. وقد مكنته خبرته الموروثة عن آبائه في العمل الدبلوماسي من الاضطلاع بمسؤوليات هامة، ومنها ترأسه للسلك الدبلوماسي، وقيامه بمهمات كبرى لدى العاهل

1 - Barao De Colaço E Macnamara, SOBERANOS MARROQUINOS, Livraria Classica Editora de A.M.Teixeira &C,[TA]LISBOA, 1906, 97 pages.

المغربي، وخاصة مهمة تحرير العبد فاتح التي أثارها في هذا الكتاب والتي هللت لها الصحافة الأجنبية آنذاك[2]، وهو من أجل ذلك كله، على دراية واسعة بالمواضيع التي يتطرق إليها، والمتعلقة بأحوال المغرب والمنطقة الشمالية. وقد كافأته دولته على خدماته العديدة بمنحه لقب بارون دي كلاصو ومكنمارا، الذي وضعه على عنوان هذا الكتاب.

- **القسم الأول من الكتاب**: وهو الذي يتحدث بإيجاز عن ملوك الدولة المغربية. قد يبدو هذا القسم من الكتاب غير مهم، لاحتوائه على مادة عامة ومعروفة، وموجزة، ولكن أهميته تتأتى من طريقة عرضه لتاريخ هؤلاء الملوك، فقد قسمهم إلى أسر أو سلالات، ولكنه اعتبرهم جميعا ملوكا لنفس البلاد، ووضع لهم ترتيبا واحدا، بحيث يقول في الأخير إن ترتيب مولاي عبد العزيز هو 82 ضمن ملوك المملكة منذ عهد الأدارسة، والثاني عشر في الدولة العلوية. وهو إيجاز نادرا ما نجده في المصنفات العربية على الرغم مما شابه من عيوب ناتجة عن اختياره أحداثا دون غيرها، وضربه صفحا عن بعضها الآخر.

- يصرح المؤلف في نهاية هذا القسم، أنه اعتمد في كتابته على مذكرات المستعرب البرتغالي الشهير الأب جوزي دو سانطو أنطونيو مورا، الذي أقام مدة بالمغرب وتعلم اللغة العربية واشتغل بالترجمة في القنصلية البرتغالية بطنجة. ويتضح من استعماله للتاريخين الهجري والميلادي أنه اعتمد على كتب التاريخ المغربية المصنفة باللغة العربية، اعتمادا كبيرا، بحيث لا

2- أنظر للمزيد من المعلومات عن المؤلف ومكانته، المادة التي كتبناها عن أسرة كلاصو، معلمة المغرب، الملحق (1)، الصفحة 262,

نجد بينه وبين الناصري مثلا إلا اختلافات ضئيلة. وقد تعمدت أن أقارن بينهما في الإحالات الهامشية، للتأكيد على ما بينهما من تقارب راجع ربما إلى وحدة المصادر أو لقاء الرجلين في طنجة حين زار الناصري بعض مدن الشمال، أو في مدن أخرى بسبب أن الراهب مورا كان يبحث عن كل الكتب الهامة ويقتني منها ما يقدر على اقتنائه[3].

- لقد اختار المؤلف أن ينشر هذه المادة المركزة عن تاريخ المغرب، واختار التركيز على الجوانب المتعلقة بالأندلس والتي تهم الإسبان والبرتغال، ولم يخف تحيزه أحيانا حين ذكر مثلا أن جيش البرتغاليين في معركة وادي المخازن لم يتعد اثني عشر ألف رجل ! ولكن معظم ما ذكره موجود في مصادرنا العربية، وأهمية المقال/ الكتاب نابعة من أنه نشر في البرتغال واطلع عليه البرتغاليون، واتخذوه مرجعا هاما لمعرفة تاريخ المغرب لعدة عقود من الزمن.

- **في القسم الثاني من الكتاب** يتحدث المؤلف عن أحداث قريبة منه، عاينها أو سمع بها، وشارك فيها، ويعطي رأيه فيها، وهنا تصبح للكتاب أهمية خاصة، لأن التفاصيل التي ترد في الكتاب والآراء والمواقف والانطباعات والأحكام، تأخذ قيمتها من المؤلف نفسه، ومن موقعه كدبلوماسي ومقيم منتم إلى طنجة عارف بأحوال المدينة وأحوال البلاد التي يتحدث عنها، وعارف بما يحاك ضدها، وبالأطماع التي تبتغي السيطرة عليها. يكفي أن

3- أنظر للمزيد عن هذا الراهب، عثمان المنصوري، الاستشراق البرتغالي،ضمن" قضايا في تاريخ المغرب الفكري والديني" منشورات كلية الآداب-عين الشق، الدار البيضاء، 2010، ص.349-360.

نستمع إليه وهو يتحدث عن الشخصيات الرئيسية التي شغلت الناس، الثلاثي المنبهي والروكَي والريسوني، والمولى عبد العزيز، ومنطقة الريف، والانتقام من نائب الباشا عبد المالك، وطنجة وما كانت تتمتع به من جاذبية، ووصفه للحياة فيها وللحلقة وضروب التسلية فيها، وغير ذلك من الأمور التي ترد عرضا في تلافيف هذا الكتاب الصغير، لندرك عمق اطلاعه على المواضيع التي يتكلم عنها.

ينقسم هذا الكتاب كما رأينا إلى قسمين، وقد اخترت أن أميز بينهما بعنوانين، أحدهما هو العنوان الأصلي للكتاب، والثاني يبدأ من حيث أعلن المؤلف عن نهاية القسم الأول ووضعت له عنوانا مستقلا هو: المغرب في عهد السلطانين مولاي الحسن ومولاي عبد العزيز، وهذا القسم هو الذي يتضمن المادة التي كتبها المؤلف عن الأحداث التي عاينها وعاصرها. كما وضعت إحالات هامشية للتوضيح أو ذكر أسماء الأعلام باللاتينية، ووضعت الإضافات في النص بين معقوفين، لتمييزهما عن النص الأصلي، كما أضفت عناوين صغيرة، لبعض المواضيع التي رأيت أنها تحتاج إلى ذلك، ووضعتها بين مزدوجتين.

لا يفوتني في الأخير أن أتوجه بالشكر إلى الزميل عبدالحميد احساين الذي اطلع على مسودة الترجمة وأفادني بملاحظاته القيمة، وأتمنى أن تحصل الفائدة المرجوة من هذه الترجمة، والله ولي التوفيق.

عثمان المنصوري

المحمدية في 6 فبراير 2016

الصفحة الأولى من المخطوط الأصلي للكتاب

Relação das Sete Dynastias Mohammetanas que tem reinado em Marrocos, desde Abd-allah Abu-Mohammed, descendente de Abu-Taleb, tio de Mafoma, no anno da Hegira 145 ([illegible]) da Era Christã, até á exaltação do actual Soberano Mulay El Hassan ao throno Scherifiano no anno da Hegira 1290 (1873).

Primeira Dynastia, Edrisitas.

Edriz, nascido na Arabia Petrea, passou dalli a Mauritania depois da derrota de seu irmão Abd-allah; foi acclamado na cidade de Ulila a 4 de Ramadan 172 (789); falleceu envenenado na mesma cidade por ordem do Califa Rachid, da Dynastia dos Abassidas em 1.° de Rabi 2.° 177 (793), tendo reinado somente cinco annos, e sete mezes, os quaes empregou todos em continuas guerras contra os Christãos, Judeos e Magusscos habitantes naquelles paizes, obrigando-os á força a abraçar o Mohammetismo, e fazendo matar os que se recuzavão a isso.

Edriz II, filho de Edriz, nascido na cidade de Ulila no dia 3 de Ragel 177 (793) foi acclamado Soberano em 7 de Rabi 1.° 188 (804) tendo então onze annos de idade. Fundou Fez e alli collocou a sua Corte, alojou a sua tropa e magnates, e recolheu tambem a muita gente, que de todas as partes lhe acudião. Falleceo nella no anno 213 (828) tendo trinta e seis annos de idade, e vinte e cinco de reinado.

Mohammed, filho de Edriz foi acclamado logo depois do fallecimento de seu pai, e tendo reinado por espaço de oito annos e um mez, falleceo no mez de Rabi 2.° 221 ([illegible]) havendo nomeado no mesmo dia a seu filho Aly por seu successor.

Aly, foi acclamado Soberano no mesmo dia em que falleceo seu pai, tendo então nove annos e quatro mezes de idade. Falleceo no mez de Ragel do anno 234 (849) depois de haver reinado perto de treze annos.

Yahia, filho de Mohammed, successor de Aly por [illegible] [illegible], foi acclamado depois do seu fallecimento.

مقدمة المؤلف

بعد انعقاد مؤتمر الجزيرة الخضراء، وما أضحت تحظى به امبراطورية المغرب من أهمية، لم تعد فكرة تقديم توضيحات عامة عن سيرة الملوك المغاربة، أمرا لا يستند على أساس، بل أصبح هذا التاريخ مطلوبا وبإلحاح. ومنذ ما ينيف على اثنين وثلاثين سنة، عندما لم يكن أحد، يفكر جديا في هذا البلد، نشرت عنه الكثير من المقالات في "يوميات الحكومة"[4] المشار إليها أدناه.

والآن، أصبحت الحاجة ملحة أكثر للتعرف على أحوال هذا البلد، بعد أن تكاثرت الأحداث المتعلقة بالسلطان مولاي الحسن، وبابنه الحاكم مولاي عبد العزيز، والتي عاينتها وقدرت أنها جديرة بالنشر بالنظر إلى طبيعتها العجيبة.

من المؤكد أن ما أقدمه اليوم، معتمدا على تسامح من يرغب في قراءة هذه المقدمة الموجزة، لا يستمد قيمته - إن كانت له قيمة - من أسلوبه الأدبي، ولكنه يمكن- على أضعف تقدير- أن يجذب اهتمام أولئك المهتمين بشؤون المغرب والذين يرغبون في قراءة كل شيء عنه.

---

4 - O DIARIO DO GOVERNO

"القسم الأول"

الملوك المغاربة[5]

تاريخ الأسر الإسلامية السبع التي حكمت بالمغرب، منذ أبي محمد عبد الله الذي يتصل نسبه بأبي طالب عم محمد [ﷺ] في السنة الهجرية 145، الموافقة لسنة 762 الميلادية، إلى غاية ارتقاء العاهل الحالي مولاي عبد العزيز على العرش الشريفي

5- ويتناول تاريخ الدول التي حكمت المغرب بشيء من الإيجاز، إلى عهد المؤلف.

الأسرة الأولى
الأدارسة

إدريس[6]، ولد بالجزيرة العربية، ومنها انتقل إلى موريطانيا[7]، بعد هزيمة أخيه عبد الله[8]؛ بويع بمدينة وليلي في 4 رمضان عام 172 (789)[9]؛ وتوفي مسموما في نفس المدينة بأمر من الخليفة الرشيد من الأسرة العباسية في يوم 1 ربيع الثاني عام 177 (793)، وحكم لمدة خمس سنوات وسبعة أشهر فقط، قضاها كلها في حروب متوالية ضد المسيحيين واليهود والمجوس، سكان تلك البلاد، مرغما إياهم بالقوة على اعتناق الإسلام، وأمر بقتل كل من امتنع عن ذلك.

إدريس الثاني، ابن إدريس، ولد بمدينة وليلي في يوم 3 رجب 177(793). بويع ملكا في 7 ربيع الأول عام 188 (804)، وكان له من العمر آنذاك إحدى عشرة سنة. أسس مدينة فاس وجعلها مقرا لحكمه، وأسكن بها فرقه العسكرية والأعيان، وجمع بها أيضا

6- المولى إدريس الأول

7- يقصد المغرب

8- ادريس هو ابن عبد الله، ونجا من معركة فخ هو وأخوه يحي، أنظر أحمد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الجزء الأول، دار الكتاب، الدار البيضاء، ص.152.

9- يورد المؤلف رقم السنة الهجرية أولا و يردفه برقم السنة الميلادية بين قوسين.

العديد من الناس الذين قدموا من كل النواحي. مات بها في سنة 213 هجرية (828)، وله من العمر ست وثلاثون سنة، وخمس وعشرون سنة من الحكم.

محمد، ابن إدريس، بويع بمجرد وفاة والده، وحكم لمدة ثماني سنوات وشهر، وتوفي في شهر ربيع الثاني عام 221 (826)، وكان قد عين ابنه عليا خلفا له في نفس اليوم .

علي، بويع ملكا في نفس اليوم الذي توفي فيه أبوه، وكان له من العمر آنذاك تسع سنوات وأربعة أشهر. توفي في شهر رجب من سنة 234(849)، بعد أن حكم حوالي ثلاث عشرة سنة.

يحي، ابن محمد، خلف عليا، وبتوصية منه، وبويع بعد وفاته. وفي عهده عمل على الزيادة في عدد سكان فاس، عن طريق استقدام الناس إليها من كل موريتانيا وإفريقية وإسبانيا؛ وشيد بها وفي أرباضها الكثير من الدور، وطور بناء جامع القرويين الشهير والعجيب في سنة 245(859). بحيث يستطيع أن يصلي فيه أكثر من أربعة عشر ألف مصل في وقت واحد وبدون ازدحام.[10]

يحي الثاني، ابن يحي، أعلن عنه ملكا بمجرد وفاة والده. ومات من الرعب خوفا من التنكيل به من طرف الشعب، نتيجة لتصرفه القبيح جدا مع إحدى اليهوديات.

10- لا يذكر المؤلف تاريخ وفاته، وكذلك الناصري.

علي الثاني، ابن عمر[11]، خلف ابن عمه يحي. تم الإعلان عنه ملكا بمدينة فاس، وسرعان ما ثار ضده عبد الرزاق، وهو من أصل أندلسي، واستمال لجانبه قسما كبيرا من سكان ضواحي فاس، واتجه لقتال علي، وتمكن من هزمه، واضطره إلى الفرار إلى منطقة أوربة.

يحي الثالث، ابن قاسم[12]، خلف ابن عمه عليا، وهزم عبدالرزاق، وتمكن - بعد معارك متعددة مع سكان صفرو - من العودة إلى فاس، حيث ظل محتفظا بالملك إلى سنة 292(904)، وهي السنة التي قدم فيها الربيع بن سليمان، وهاجمه، فمات في ذلك الهجوم.

يحي الرابع، ابن إدريس[13]، وهو أقوى الحكام المنحدرين عن إدريس، فرض سيادته على أراضي شاسعة من بلاد موريتانيا، ارتقى العرش بمجرد وفاة ابن عمه يحي، ابن قاسم، وهزم جيشا أرسله عبد الله الشيعي، حاكم إفريقية ضده، برئاسة قائده "مصالة"[14]، وتمكن من إلقاء القبض عليه، ونفاه إلى أصيلا، حيث فر منها إلى إفريقية؛ لكن تم القبض عليه في الطريق من قبل موسى[15]، الذي وضعه في إحدى السجون. ثم أطلق سراحه بعد عشرين سنة، وتوجه إلى إفريقية، وحين وصل إلى هناك، شارك

11- عمر بن ادريس.

12- قاسم بن إدريس.

13- ادريس بن عمر بن ادريس.

14- مصالة بن حبوس المكناسي.

15- موسى بن أبي العافية المكناسي.

في الثورة وفي حصار مدينة المهدية، ومات بها من الجوع والفقر سنة 332(943).

الحسن،[16] ابن محمد، بويع في فاس في سنة 310(922)، ومات في سنة 312(922)[17] وحكم حوالي سنتين، قضاها كلها في حروب مستمرة مع أبي العافية الذي بويع كملك بمكناس من قبل عدة قبائل، وكان ينازعه على "التاج".

القاسم كَنون، ابن محمد، بويع ملكا بموريتانيا في سنة 328(939) بعد حرب مدمرة بين موسى ابن أبي العافية، الذي أدخل تحت طاعته القسم الأكبر من موريتانيا، وبويع بها في سنة 313 (925)، وبين قواد عبد الله الشيعي، حاكم إفريقية، وأحفاد إدريس. وحكم لمدة تسع سنوات، ومات في قلعة حجر النسر في سنة 337(984).

أبو العيش أحمد، ابن القاسم كَنون، خليفة والده، بويع بعد وفاته؛ وهو الذي يستحق أن ينعت بالممتاز من بين أبناء إدريس، بالنظر إلى خصاله الحميدة. وبما أن الناصر، ملك قرطبة، لم يتخل عن نيته في فتح موريتانيا، ولم يتوقف عن إرسال جيوشه بقيادة أكفإ وأشهر قادته، لاحظ أبو العيش أنه لا محالة سيحقق هدفه، ولذلك كتب إلى الناصر، طالبا منه تصريحا بالعبور

16- الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس المعروف بالحجام.

17- هنا اتفاق على أنه أمضى سنتين في الحكم لكن الناصري يعطي تاريخ 313 هجرية. أنظر: الناصري، الاستقصا، م. س. الجزء 1، ص. 186.

إلى إسبانيا، حيث مات هناك في إحدى المعارك سنة 343 (954)[18]، بعد أن حكم لمدة ست سنوات.

الحسن الثاني، ابن كَنون، بويع بعد رحيل أخيه إلى إسبانيا. قضى مدة حكمه كلها في حروب متوالية ضد قادة الحَكَم، ملك قرطبة؛ ووجد نفسه في الأخير بدون جنوده الذين اشتراهم غالب، أحد هؤلاء القادة، فلجأ إلى قلعة حجر النسر حيث حاصرته جيوش هذا الأخير حصارا شديدا. وأمام هذا التضييق اضطر إلى الاستسلام لغالب بعد أن اشترط الأمان على نفسه وأهله، على أن ينتقل إلى قرطبة ويظل مقيما بها. في ظل هذه الظروف سلم القلعة واتجه مصحوبا بكل المنحدرين عن الأدارسة إلى إسبانيا، حيث تلقاهم الحَكم بحفاوة كبيرة وخصص لهم رواتب مجزية، ظلوا يتلقونها إلى سنة 365(975) حيث أمر بتوقيفها.

في هذه السنة الأخيرة، وقع خلاف كبير بين الحكم والحسن، بسبب رفض هذا الأخير أن يعطي للحكم قطعة كبيرة من العنبر، وكانت من الكبر بحيث يتخذها وسادة. ونتج عن هذا الرفض أنه لم يحرم فقط من الرواتب التي كان يدفعها له الحكم، وإنما تعرض لأشكال متعددة من الإهانات، وجرد من أمواله وممتلكاته، وانتهى به الأمر إلى الهجرة إلى مصر، التي وصلها في حالة يرثى لها. وقد أثار حاله عطف نزار بن المعز[العبيدي] حاكم تلك البلاد، الذي لم يكتف باستضافته بكل ود وصداقة، بل وعده

18- يورد الناصري سنة 348، أنظر: الاستقصا، نفسه، ص. 197.

بالمساعدة. وفعلا، سلمه في سنة 373(983) موافقته على الذهاب لحكم موريتانيا، وأرسل أمرا إلى بلكين[بن زيري]، حاكمه بإفريقية، لكي يزوده بالجنود الضروريين الذين عليهم مرافقته لهذا الهدف. وزوده هذا الأخير ب3000 فارس، وبهم دخل إلى موريتانيا، حيث تمكن من الدخول إليها بسهولة واستمالة القبائل البربرية. لكن المنصور[بن أبي عامر]، نائب ملك قرطبة، أمر بإرسال قوات كبيرة من إسبانيا لمواجهته، وكان هذا كافيا ليفت في عضد الحسن، الذي عرض طاعته والرجوع مرة أخرى إلى قرطبة، مع إعطائه الأمان على نفسه. وبعد قبول هذه الشروط، تم تنفيذها على الفور، لكن المنصور أمر باغتياله في الطريق. وهكذا انتهت حياة الحسن نهاية غير سعيدة سنة 375 (985)، وقد حكم في المرة الأولى ست عشرة سنة، وفي الثانية عاما وتسعة أشهر.

الأسرة الثانية

المغراويون واليفرنيون[19]

زيري ابن عطية، بويع بفاس من لدن قبيلتين سنة 368(978)، وبشكل نهائي في سنة 382(992)، بصفته رعية للمنصور[بن أبي عامر]، نائب الملك هشام، ملك قرطبة. وقد تلقى منه أمرا في هذه السنة 382(992) بالانتقال إلى قرطبة لتقديم ولائه، وترك لابنه حكم المناطق الخاضعة له. وبهذه الطريقة اكتسب رضى المنصور نائب الملك هشام، الذي عينه وزيرا له، وثبته من جديد حاكما على الأراضي التي كانت له، والتي عاد إليها بدون تأخير. وخلال غيبته استغل يدو بن يعلى اليفرني، ابن عمه، الفرصة لفرض سيادته على فاس في شهر ذي القعدة من نفس السنة، مما دفعه إلى التوجه إليه بدون تضييع للوقت. وبعد معارك عنيفة دخل إلى المدينة في سنة 383 (993) وقتل يدو. وبعد ذلك فسدت العلاقات الحسنة التي كان يظهر أنها تدعمت في قرطبة بين المنصور وزيري؛ وقرر هذا الأخير إنهاء لعبة الطاعة التي وعد بها ملك قرطبة. وقام هذا الأخير بالتوجه إلى الجزيرة الخضراء، ومنها أرسل جيشا قويا إلى موريتانيا، بقيادة ابنه عبد الملك المظفر، الذي هزم زيري هزيمة تامة، فوجد نفسه مضطرا إلى الفرار إلى الصحراء حيث مات. وفتحت مدينة فاس أبوابها للمنتصر في سنة 391 (1000).

19- يعبر عنها الناصري بدولة زناتة من مغراوة وبني يفرن، نفسه، ص. 206.

المعز، خليفة والده، بعد أن قدم الطاعة لملك قرطبة، أرغمه على أن يقدم له سنويا عددا معينا من الخيول، ومبلغا من المال، وأن يترك لديه ابنه رهينة، حيث احتفظ به إلى نهاية هذه الدولة بقرطبة. مات المعز في شهر جمادى الأولى من سنة 422(1031) وقد حكم ثلاثا وثلاثين سنة.

حمامة، ابن المعز، بويع بعد أبيه، ثار عليه تميم، ابن زيري[20]، وخرج من فاس لمحاربته، وبعد معركة شديدة، هزم تميم حمامة، وفر هذا الأخير إلى وجدة، بينما دخل تميم إلى فاس.

تميم، ابن زيري، بويع ملكا بفاس في سنة 424(1033)، ونكل باليهود الذين قتل منهم أكثر من 6000. واستولى على أموالهم ونسائهم. كان لا يكل من محاربة البورغواطيين، الذين كانوا يتبعون طريقة خاصة، ولذلك نسبت إليه عدة خوارق بعد موته.

انسحب حمامة من وجدة إلى تونس، بسبب تخلي رجاله بالمدينة عنه، وبعد أن جمع هناك المغاربيين، انطلق معهم إلى فاس، التي أصبح سيدا عليها ، وفيها مات سنة 440(1048).

دوناس، ابن حمامة، خليفة والده، حكم في ظل الاستقرار، والأمن والرخاء. مات بفاس في شهر شوال من سنة 452(1060).

20- أبو الكمال تميم بن زيري اليفرني، أنظر الناصري، نفسه، ص.220.

فتوح، ابن دوناس، خلف أباه، وجعل إقامته بفاس في "عدوة" الأندلس، وعين أخاه عجيسة حاكما على عدوة القرويين، حيث ثار عليه وبويع ملكا. وهذا أعطى الانطلاقة لحرب شرسة بين أتباع الفريقين، الذين كانوا يحاربون بعضهم البعض بدون انقطاع، محدثين على الدوام أضرارا بليغة بالحقول، وسط مظاهر عداء شديدة، مما نتجت عنه مجاعة كبيرة، ونقص شديد في الأقوات. وبعد معارك متتالية، وخسائر كبيرة على مدى ثلاث سنوات، انتصر فتوح في الأخير على أخيه وقتله. ونعمت المدينة في عهده بالسلم إلى ظهور اللمتونيين بموريتانيا، حيث قدموا لمحاصرة المدينة، وضيقوا عليه الخناق، مما اضطره إلى التخلي عنها في سنة 457 (1065). وبذلك حكم لمدة خمس سنوات وسبعة أشهر، وعانت المدينة في معظم هذه المدة من الرعب والجوع والنقص الشديد في الأقوات.

معنصر، ابن المعز،[21] بويع ملكا في فاس في شهر رمضان من نفس السنة 457(1065)من قبل المغراويين، وبعد أن عانى من صد هجومات اللمتونيين المتكررة، اختفى في سنة 460(1067) ولم يعد يعرف أي شيء عنه.

تميم الثاني، ابن معنصر، عندما علم بخروج يوسف بن تاشفين، أمير اللمتونيين، هاجم من بقي منهم بفاس، وقتل البعض منهم، وأحرق وصلب البعض الآخر، وبسط سيادته على

21- هو معنصر بن حماد بن معنصر بن المعز بن عطية المغراوي، أنظر الناصري، نفسه، ص.223.

المدينة. وعندما علم يوسف بهذا الحدث، انطلق لمهاجمته، وبعد حصار طويل وخانق، ومعارك متوالية، دخل إلى المدينة بالقوة، وقتل بها أزيد من عشرين ألف شخص من زناتة. وكان تميم آخر ملك من هذه الأسرة ، وقضى ما يقارب سنتين من الحكم .

الأسرة الثالثة

المرابطون

أبوبكر، ابن عمر، أمير القبائل الصنهاجية، غزا موريتانيا، صحبة شيخه الفقيه عبد الله بن ياسين، في شهر ربيع الثاني من سنة 448(1056)، وفتح فيه بلاد سوس، ومدن أغمات وتادلة وإقليم تامسنة، وهزم فيه البورغواطيين. وخلال إحدى المعارك مات المرابط المذكور يوم 24 من شهر ربيع الأول من سنة 451(1059). وانسحب أبو بكر من الإقليم المذكور إلى مدينة أغمات وهناك توصل برسالة تحيطه علما بالأحوال السيئة التي توجد عليها الصحراء، فرحل إليها على الفور ليصلح أحوالها، تاركا ابن عمه يوسف بن تاشفين خليفة له بموريتانيا، ومن هناك انتقل إلى "إثيوبيا" لشن الحرب على الكفار، حيث توفي في إحدى المعارك في شهر شعبان من سنة 453(1087).

يوسف بن تاشفين، ولد في الصحراء في سنة 400 (1009)، وحكم موريتانيا من سنة 453 (1061)، بعد رحيل ابن عمه إلى الصحراء، حتى سنة 500 (1106) التي توفي فيها. وأصبح سيدا على كل موريتانيا من جزر بني [برغواطة][22] إلى إثيوبيا، وشيد مدينة مراكش، وتوصل برسائل من ابن عباد ملك إشبيلية، في شهر ربيع الثاني من سنة 475 (1082)، ومن ملوك صغار آخرين بإسبانيا، طالبين

22- في النص الأصلي (Benibargata) ص 17.

منه النجدة ضد ألفونسو السادس، ملك قشتالة، الذي كان قد استولى منهم على أقاليم ومدن كثيرة. وعندما رأى ابن عباد أن ألفونسو أصبح سيدا على طليطلة، وضيق الحصار على سرقسطة، عبر إلى موريتانيا للالتقاء بيوسف بن تاشفين عندما كان متوجها إلى سبتة، التي كانت قد فتحت قبل ذلك بقليل من لدن ولده؛ وأعلمه بأن ألفونسو السادس، يوجد على رأس جيش قوي من الفرنسيين والبشكنس والجلالقة[23]، الخ، وقد خرب كل إسبانيا. فطلب منه يوسف أن يعود، ووعده بالانطلاق في أثره. وفي منتصف ربيع الأول من سنة 479(1086)، عبر يوسف بن تاشفين من سبتة مع جيشه في المرة الأولى، وفي نفس اليوم نزل في الجزيرة [الخضراء]، ومنها انطلق بعد ذلك بقليل لملاقاة جيش الملك ألفونسو. وقد أخبر بأن هذا الأخير في النواحي المجاورة لبطليوس[24]، فأقام مخيمه بجوارها، والدون ألفونسو في مكان الزلاقة (Casala)[25] لا يفصل بين الجيشين سوى نهر الوادي اليانع (Guadiana). وفي فجر يوم 12 رجب من نفس السنة، توصل ابن عباد بأخبار من طلائعه، بأن جيش الدون ألفونسو يتأهب للهجوم، فأخبر يوسف حالا بذلك، واستعد هو وباقي ملوك إسبانيا لملاقاته. هاجم الدون ألفونسو الملوك الصغار وهزمهم، ما عدا ابن عباد، الذي دافع جيدا وبثبات هو وداوود بن عائشة، فدفع إليهم يوسف بتعزيزات من الفرق الجديدة، وقام هو ومعظم فرق جيشه بالتوجه إلى محلة الملك الدون ألفونسو وأضرم النار فيها. وبذلك ابتدأت معركة عامة

23 -Biscainhos, gallegos

24 -Badajoz

25- حسب الناصري يسميها النصارى ساكرالياس، الناصري، ج2، ص 46، هامش1.

انهزم فيها الدون ألفونسو هزيمة تامة، وفر منها جريحا جرحا بليغا، وليس معه سوى حوالي 500 فارس.

لقب يوسف نفسه بأمير المسلمين، وعاد مباشرة إلى موريتانيا؛ أما الدون ألفونسو فقد جهز جيشا جديدا، وألح في التضييق على الأراضي التابعة لابن عباد، ملك إشبيلية، ولذلك، عبر ابن عباد مرة ثانية إلى موريتانيا، ليطلب النجدة من يوسف ضد الدون ألفونسو، فوعده بذلك. وعبر يوسف مرة أخرى من سبتة إلى الجزيرة في شهر رجب عام 481(1088)، وذهب لحصار قلعة ألاكَيطا (Alagueta)[26] حيث انضمت إليه قوات ابن عباد وعبد العزيز حاكم مرسية؛ لكن هذا الأخير سرعان ما أظهر عداءه بعد ذلك بقليل. استمر الحصار أربعة أشهر؛ وقد قرر يوسف رفع الحصار بسبب حلول فصل الشتاء، وبسبب استيلاء جيش عبد العزيز على الإمدادات من المؤن، فغادر القلعة عن طريق لورقة (Lorca) إلى المرية، وركب منها إلى موريتانيا، حانقا على ملوك [الطوائف] لعدم مساعدتهم له في حصار القلعة المذكورة. وفي سنة 483(1090) عبر يوسف إلى طليطلة حيث كان يوجد آنذاك الدون ألفونسو. وحاصره بها، ووضع في الحديد والنار كل إقليمها. وبعد مدة قليلة من ذلك، رفع الحصار عنها، وأقام حصارا على غرناطة، لأن عبد الله، ابن بلكين، حاكمها، أبرم الصلح مع الملك الدون ألفونسو، وتحالف معه ضد يوسف. وبعد شهرين من الحصار الشديد كتب إليه بلكين، طالبا منه

26- حصن لبيط عند الناصري، نفسه، الجزء الثاني، ص52.

الأمان، وعارضا عليه مملكته. وافق يوسف على العرض وأرسل بلكين إلى مراكش حيث مات، وهو ما أعطى مبررا لابن عباد ليفقد الثقة في يوسف، الذي عاد إلى موريتانيا في شهر رمضان من نفس السنة، تاركا سير بن أبي بكر[اللمتوني]، حاكما على إسبانيا، وهو الذي توجه إلى إشبيلية وأمر ابن عباد بإعلان طاعته، وتسليمه مملكته. لكن ابن عباد رفض ذلك، فأقام يوسف حصارا عليه وشرع في قتاله، وبعث في نفس الوقت قائده لقتال كل المدن التابعة لمملكته، وفتح منها جيان وقرطبة التي كان يوجد بها المامون، ولد ابن عباد، و"بايسا والبلد والمعدن"[27]، وغيرها من المدن. وفي نهاية ذلك الشهر لم تبق تحت حكم ابن عباد سوى كرمونة وإشبيلية. وعندما وجد هذا الأخير نفسه في هذه الوضعية الصعبة، طلب النجدة من الملك الدون ألفونسو الذي بعث إليه جيشا لنجدته. لكن سير، أرسل لملاقاتهم 10000 فارس بقيادة ابراهيم بن إسحاق، والتقى الجيشان قرب قلعة المظفر، ووقع قتال عنيف بين الجانبين، وانتهى بانتصار المرابطين. وعندما كانت الحرب دائرة، كان سير يحاصر إشبيلية مضيقا عليها الحصار، إلى أن تمكن من الدخول إليها في يوم 22 رجب من نفس السنة، بعد أن أعطى الأمان قبل ذلك لابن عباد وعائلته، وأرسلهم إلى يوسف في أغمات، حيث احتفظ بهم إلى وفاتهم. تابع المرابطون فتح إسبانيا، وبسرعة لدرجة أنهم تمكنوا من إخضاع إمارات خمس ملوك وهم ابن عباد وابن عبوس وابن داوود وابن بكار وابن منقد في أقل من شهرين. وأصبح يوسف

27 -Baeça,Alvalade, Almaden

سيدا على القسم الأكبر من إسبانيا، وعين ابنه عليا في قرطبة في سنة 496(1102).

علي الثالث، ابن يوسف، ولد في سبتة في سنة 477(1084)، وبويع بمراكش في بداية سنة 500(1106)، وله آنذاك من العمر ثلاث وعشرون سنة. وبعد سنتين على تعيينه، وقعت معركة أفليج (Uclez) التي كانت بالغة الشؤم على إسبانيا. التقى الجيشان، ووقعت بينهما معارك عنيفة ومات فيها ابن الملك الدون ألفونسو مع 20000 مسيحي من المرافقين له، وهاجم المسلمون قلعة أفليج ودخلوها. وعندما بلغ الخبر إلى الملك الدون ألفونسو، اغتم كثيرا لوفاة ابنه ومات. وفي سنة 503(1109) عبر علي إلى قرطبة مع أزيد من 100000 رجل وحاصر طليطلة، واستولى فيها على سبع وعشرين قلعة، وفي شهر ذي القعدة، فتح قائده سير بطليوس ويابرة وشنترين ولشبونة وكل أقاليم البرتغال والغرب، ومات في إشبيلية سنة 507(1119)، وكرر ابنه تاشفين نفس الأعمال في نفس البلد في سنة 520(1126) حيث فتح ثلاثين قلعة. وعاد علي إلى موريتانيا في سنة 515(1121) ومات في مراكش سنة 537(1142).

تاشفين، ابن علي، بويع بتوصية من أبيه في سنة 537. وكان الموحدون قد ظهروا بموريتانيا بمجرد بداية حكمه. وعرف حكمه ثورات ومعارك متوالية معهم، وطاردوه حتى وهران، وضيقوا عليه الحصار، وقد حاول مهاجمتهم بالليل، لكنهم ردوا هجومه

وطاردوه، وبما أن الليل كان ممطرا ومظلما، فقد سقط من أعلى الجبل المحاذي لوهران، من جهة البحر، حيث وجد ميتا.

تؤرخ نهاية هذه الأسرة ب519(1119) وهي السنة التي ظهر فيها المهدي قائد الموحدين بموريتانيا. واستمر حكمها من سنة 448(1056) إلى سنة 539(1144).

الأسرة الرابعة

الموحدون

محمد بن عبد الله المهدي، الذي كان يدعي أنه ينحدر من الأدارسة، ولد في إقليم المصامدة، ووهب نفسه منذ صباه للعلم، وكان عدوا للمرابطين، وخاصة في مراكش حيث كان يقيم علي، أمير المسلمين. أمر علي بحبسه وقتله. لكن المهدي رحل إلى تينمل، التي دخلها سنة 514(1120) وبويع في 10 رمضان. أرسل عبد المومن، أحد تلامذته على رأس 10000 من الموحدين الشجعان، في اتجاه أغمات، وهزم جيشا كبيرا أرسله علي لمحاربته، وطارده حتى مراكش، وخلف قائده مقتولا، ووقع هذا في سنة 516(1122)؛ حاصر الموحدون مراكش لمدة ثلاث سنوات بدون أن يتمكنوا من فتحها. ومرض المهدي بعد ذلك، وعين عبد المومن خلفا له. ومات يوم 25 من شهر رمضان من سنة 524 (1130)، وقد حكم من 10 إلى 11 سنة. كان محمد المهدي رجلا داهية وثاقب النظر.

عبد المومن بن علي، أصله من"تاهرت" (Tagir) ينحدر من عائلة متواضعة، قائد المهدي، وزعيم الموحدين، ظهر بموريتانيا واعترف به ملكا من قبل الموحدين يوم 20 من شهر رجب عام 526(1131)؛ لم يتوان عن محاربة علي، وابنه تاشفين، آخر الملوك المرابطين إلى سنة 539(1144)، التي مات فيها هذا الأخير. فتح عبد المومن خيريز بإسبانيا وقام بفتوحات بموريتانيا

وإفريقية إلى أن وصل إلى تونس حيث بويع فيها أيضا. أمر بغزو القسم الغربي من إسبانيا، حيث فتح الموحدون ترانكوزو وبطليوس وباجة ويابرة وقصر أبي دنيس[28]. وفي سنة 558(1162) جمع في الرباط 300000 رجل من أجل العبور مرة ثانية إلى إسبانيا، لكن هذه الحملة أجهضت بسبب مرضه وموته بالرباط يوم 2 من جمادى الثانية من عام 558 (1162)، وله من العمر آنذاك ثلاثة وستون عاما، وما يقرب من أربعة وثلاثين سنة من الحكم.

يوسف الثاني، ابن عبد المومن، ولد يوم 3 رجب من عام 533(1139)، وبويع في سنة 558(1163)، وتوفي سنة 580 (1184)، قرب الجزيرة "الخضراء" متأثرا بالجروح التي أصيب بها في معركة شنترين، وكان له من العمر سبعة وأربعون سنة، وقضى في الحكم واحدا وعشرين سنة وبضعة أشهر. شيد مسجد إشبيلية المشهور؛ وأمر بمهاجمة لشبونة، لكن بدون نتيجة.

يعقوب المنصور، ابن يوسف، ولد بمدينة مراكش سنة 555(1160)، وبويع سنة 580(1184)، وبها توفي سنة 595(1198)، وله من العمر أربعون عاما. كان ملكا مثابرا جدا، شيد مدينة الأرك الشهيرة[29] وقلعة البلد[30]، وأمر بإعادة فتح البرتغال. استولى قادة الأندلس المتحدون مع محمد بن يوسف، حاكم قرطبة، على شلب، وقصر الملح ويابرة وباجة. وعبر إلى الجزيرة يوم 20 رجب

28 -Trancoso, Badajoz, Beja, Evora e Alcaçar do Sal.

29 -Alarcos

30 -Albalate

عام 591 (1194)، وهاجم الملك الدون ألفونسو ملك قشتالة، فخرج هذا هاربا من الجزيرة، تاركا في حوزة المنصور ثرواته وأسلحته وذخيرته الخ. وفي سنة 592 (1195)، فتح قلعة رباح ومدريد وإقليج وغرناطة وقسما كبيرا من إقليم طليطلة[31]، واستولى بالقوة على سالامنكا وعاد إلى مراكش في شهر شعبان من سنة 594(1197) حيث وافته المنية.

محمد الثاني الملقب بالناصر، ابن المنصور، بويع يوم 22 من ربيع الأول من سنة 595(1198)، وتوفي مسموما بتدبير من وزرائه يوم الثاني من شعبان من سنة 610(1213)، وقد قضى في الحكم خمس عشرة سنة وأربعة أشهر. حاصر قلعة سلبطرة[32]، واستخدم في ضربها أربعين منجنيقا، لكن الملك الدون ألفونسو وغيره من الملوك المسيحيين استولوا على قلعة رباح التي استسلمت له في ذي القعدة من سنة 608 (1212). وحاربه الملك الدون ألفونسو وأسفر ذلك عن معركة العقاب التي يسميها الإسبان معركة لاس نافاس دو طولوزا[33]، وانتهت بهزيمة الناصر وفراره، وبذلك انتهت سعادة المسلمين، وأصبح المسيحيون غالبين على أراضيهم. وبعد انتهاء المعركة، استولى الملك الدون ألفونسو على عُبيدة بالقوة[34]، وعاد الناصر إلى مراكش، حيث مات مسموما.

---

31 -Calatrava, Velez

32 -Salvaterra

33 -Las Navas de Tolosa

34 -Ubeda

يوسف الثالث، ابن الناصر، بويع في ذي القعدة من سنة 609(1212)، وتوفي في مراكش، بسبب إصابته بقرن بقرة هائجة يوم 12 من ذي الحجة من سنة 620 (1223)، وقد قضى في الحكم عشر سنوات وأربعة أشهر، قضاها في ضعف وفراغ وعدم مبالاة. أمر بإنجاد قصر الملح المحاصر من قبل البرتغاليين، وأرسل إليه قوات من إشبيلية وقرطبة وجيان، لكن البرتغاليين هزموها سنة 614، واستولوا على القصر بالقوة.

أبو محمد عبد الواحد، أخ جد الملك السابق، بويع رغما عن أنفه، من قبل الموحدين، وكان حينها شيخا كبيرا، يوم 2 من ذي الحجة سنة 620 (1223)، ثم تخلى عن الحكم وأقسم يمين الطاعة والإخلاص لابن عمه محمد العادل، يوم 28 شعبان 621(1224). أنهكته الثورات، ولم يقض في الحكم سوى ثمانية أشهر وتسعة أيام.

عبد الله العادل أبو محمد، ابن المنصور، بويع في صفر سنة 621 (1225). بعث العادل جيشا ضد البياسي[35] أبي محمد، الذي بويع أيضا، وطلب هذا الأخير النجدة من الملك الدون ألفونسو ملك قشتالة ضد العادل وهزمه. ثار عليه أحد إخوته، وألح عليه في أن يتخلى عن الملك، وأمام رفضه، وضعوا رأسه في خصة (نافورة) ماء، وتركوه على ذلك الحال إلى أن مات، في سنة 624، وقد قضى في الحكم ثلاث سنوات وما يزيد قليلا عن سبعة أشهر.

---

35 -Baeça

يحي الخامس، ابن الناصر، بويع في يوم 28 من شوال سنة 624 (1227)، ومات على يد أحد الهاربين من "فاضلة" يوم 28 رمضان من سنة 663 (1236)، وقد حكم تسعة سنوات وتسعة أيام.

إدريس الثالث، أبو عبد الله، ابن يعقوب، ولد في مالقة في سنة581(1185)، وبويع في إشبيلية يوم 2 شعبان سنة 624 (1227). أمده ملك قشتالة بالجنود وفق الشروط التالية:"أن يشيد في مراكش كنيسة للمسيحيين، وأن يسمح بأن يعتنق أي أحد "منهم" الإسلام، وأن لا يعترض على تحول أي موري للمسيحية". هزم يحي يوم 25 من ربيع الأول من سنة 627 (1230). مات من الحزن (الغم)، نتيجة لمبايعة ابن هود في سنة 629(1232)، وقضى في الحكم خمس سنوات وثمانية أشهر.

أبو محمد الثاني، عبد الواحد الرشيد، ابن عبد الله، بويع في شهر محرم من سنة 630 (1232). مات يحي الذي كان أبو محمد قد هزمه، عندما كان هاربا إلى تازة؛ وتوفي أبو محمد غريقا في صهريج يوم 9 جمادى الثانية من سنة 640 (1242)، بعد أن حكم عشر سنوات.

أبو الحسن السعيد، ابن إدريس، بويع في اليوم الموالي لموت أبي محمد في سنة 640 (1242)، ومات في نهاية شهر صفر من سنة 646، وقد بلغت مدة حكمه خمس سنوات وما يقرب

من تسعة أشهر، قضاها في حروب مع بني مرين الذين كانوا قد ظهروا بموريتانيا.

عمر، ابن إبراهيم[36]، بويع بمراكش، في اليوم الموالي لوفاة السعيد، وتعرض لهزيمة من بني مرين بالقرب من مكناس، وهرب إلى مراكش، ومات في سنة 665 (1266)، بأمر من أبي دبوس، بعد أن حكم ما يقرب من تسع عشرة سنة.

إدريس الرابع، أبو دبوس، ابن أبي عبد الله وإحدى المسيحيات، طلب النجدة من أبي يوسف، خامس ملوك بني مرين، الذي كان قد بويع ملكا بموريتانيا، ضد عمر؛ ومكنه أبو يوسف من النجدة. استولى على مراكش، وأمر في الحال بقتل عمر. وذهب أبو يوسف لمهاجمته في سنة 667 (1268)، وخرج أبو دبوس لملاقاته في إقليم دكالة، وفي المعركة التي تمت بينهما توفي أبو دبوس وانهزم جيشه. وبذلك انتهت أسرة الموحدين، بعد أن حكمت من سنة 514 إلى سنة 667.

36- في النص : بن عبد الحق ، وهو ابن يوسف بن عبد المومن.

الأسرة الخامسة

بنو مرين

أبو محمد الثالث عبد الحق، ابن أبي غالب "خالد" بويع من بني مرين في سنة 592 (1196). ومات في سنة 614(1217)، في معركة ضد قبائل رياح وبني عسكر.

أبو سعيد عثمان، ابن عبد الحق، مات سنة 638 (1240) من علج كان قد رباه، وقضى في الحكم ثلاثا وعشرين سنة وسبعة أشهر.

أبو معروف محمد، أخ أبي سعيد، بويع بمجرد وفاة أخيه، واجه الموحدين في سنة 642 (1258)، وقتل من قبلهم، وانهزم المرينيون.

أبو يحي، ابن عبد الحق، بويع بعد موت أخيه، واصل الحرب ضد الموحدين، وفتح فاس وعدة أقاليم؛ مات في شهر رجب من سنة 656 (1258)، وقد حكم عشر سنوات وبضعة أشهر.

أبو يوسف يعقوب، أخ الملك السابق، ولد سنة 609 (1212)، وبويع في سنة 656(1258) بمجرد وفاة أخيه؛ وكان له من العمر أربعة وستون عاما. عبر إلى إسبانيا، وانتصر على الدون

نونو دو لارا[37] ، المضطهد الكبير للموريين، في المعركة التي جرت سنة 674؛ وكانت الغنائم عظيمة. وهزم الملك الدون ألفونسو، قرب إشبيلية. وطلب منه الدون ألفونسو السلم ولكنه رفض. وعاد أبو يوسف إلى موريتانيا في بداية سنة 677 (1278)، فانتهز الملك الدون ألفونسو فرصة غيابه، وقام بحصار الجزيرة "الخضراء" ب 300000 جندي، و30000 فارس، و400 مركب عسكري ما بين كبير وصغير. أمر أبو يوسف ابنه بإعداد أسطول، اجتمع منه في سبتة 70 گاليرا[38]، وعبر بها إلى جبل طارق، ومنه اتجه لمحاربة الإسبانيين الذين كانوا يحاصرون الجزيرة. وربح هذه المعركة، وتم تخليص سكان الجزيرة، يوم 2 من ربيع الأول من سنة 678 (1279). وقام بمحاربة الدون شانسو الذي كان قد ثار ضد أبيه الملك الدون ألفونسو، الذي سلم له التاج مقابل 100000 دوكا. ودخل إلى مالقة في بداية سنة 682(1283)، وبعد أن استولى على عدد من القلاع، أبحر إلى موريتانيا. بعث إليه الدون شانسو يطلب منه الصلح فكان له ذلك. لكن أبا يوسف توفي يوم 22 من محرم سنة 686، بعد أن حكم لمدة 23 سنة، قضاها في "ارتكاب المظالم" [39].

أبو يعقوب، ابن أبي يوسف، ولد سنة 638(1240)، وبويع بالجزيرة؛ اتفق مع ابن الأحمر، حاكم غرناطة، على الصلح، وأعاد

---

37 -D. Nuno de Lara

38 -Galeras

39- eniquidades commetter em empregados من معاني: (iniquidade): الظلم.

إليه كل أراضيه باستثناء الجزيرة، ورندة، وطريفة، وقادس؛ جدد الصلح مع الدون شانسو، وكلف أخاه أبا عطية بحكم إسبانيا وذهب إلى موريتانيا. أنهى الصلح مع الدون سانشو في سنة 690(1291)، وحاصر باجة لمدة ثلاثة أشهر، وعاد إلى موريتانيا في سنة 691 (1292)، واستمر في عملية إخضاع الثائرين إلى سنة 706(1306)، حيث مات مقتولا بطعنة خنجر سددها له أحد عبيده المخصيين.

عامر أبو ثابت، ابن عبد الله، بويع في سنة 706، بمجرد موت جده أبي يعقوب، ومات في طنجة في سنة 708 (1308)، بعد أن قضى في الحكم عاما وثلاثة أشهر.

سليمان أبو الربيع، أخ السابق، بويع بطنجة، بعد موت هذا الأخير وكان له من العمر آنذاك تسعة عشر عاما وأربعة أشهر، وقضى في الحكم سنتين وخمسة أشهر، ومات في تازة في شهر جمادى الثانية من سنة 710 (1310).

عثمان أبو سعيد، ابن أبي يوسف، بويع في تازة، قام بعدة حملات إلى إسبانيا، وفقد طريفة، وانشغل بعد ذلك بإدارة شؤون موريتانيا فقط إلى سنة 731 (1330)، حيث مات، وله من الحكم واحد وعشرون سنة.

أبو الحسن الثاني، عبر إلى الأندلس في 60000 مقاتل ليثأر لموت ابنه الذي قتل من قبل المسيحيين، وهزم الأسطول الإسباني

إليه كل أراضيه باستثناء الجزيرة، ورندة، وطريفة، وقادس؛ جدد الصلح مع الدون شانسو، وكلف أخاه أبا عطية بحكم إسبانيا وذهب إلى موريتانيا. أنهى الصلح مع الدون سانشو في سنة 690(1291)، وحاصر باجة لمدة ثلاثة أشهر، وعاد إلى موريتانيا في سنة 691 (1292)، واستمر في عملية إخضاع الثائرين إلى سنة 706(1306)، حيث مات مقتولا بطعنة خنجر سددها له أحد عبيده المخصيين.

عامر أبو ثابت، ابن عبد الله، بويع في سنة 706، بمجرد موت جده أبي يعقوب، ومات في طنجة في سنة 708 (1308)، بعد أن قضى في الحكم عاما وثلاثة أشهر.

سليمان أبو الربيع، أخ السابق، بويع بطنجة، بعد موت هذا الأخير وكان له من العمر آنذاك تسعة عشر عاما وأربعة أشهر، وقضى في الحكم سنتين وخمسة أشهر، ومات في تازة في شهر جمادى الثانية من سنة 710 (1310).

عثمان أبو سعيد، ابن أبي يوسف، بويع في تازة، قام بعدة حملات إلى إسبانيا، وفقد طريفة، وانشغل بعد ذلك بإدارة شؤون موريتانيا فقط إلى سنة 731 (1330)، حيث مات، وله من الحكم واحد وعشرون سنة.

أبو الحسن الثاني، عبر إلى الأندلس في 60000 مقاتل ليثأر لموت ابنه الذي قتل من قبل المسيحيين، وهزم الأسطول الإسباني

قرب جبل طارق. واتحد بعد ذلك مع ملك غرناطة، واتجها لمحاصرة طريفة؛ لكن ملوك قشتالة والبرتغال بادروا لنجدتها وأنقذوها، وهزموا المسلمين هزيمة تامةقرب نهر صالادو. فرأبو الحسن إلى الجزيرة، ومنها أبحر إلى سبتة؛ ثار عليه ابنه أبو عنان، وواجهه بجيش قوي، أرغمه على الانسحاب إلى سجلماسة. ثم عاد لمحاربة ابنه العاق، وانتصر عليه قرب فاس، وعاد إلى إقليم مراكش، حيث مات في ربيع الأول من سنة 759(1358)، وقد حكم لمدة أربع وعشرين سنة .

أبوعنان فارس، كان قد ثار على أبيه، وبعد أن هزمه قرب فاس، قام بتمهيد أراضيه إلى تونس. مات يوم 24 من شهر ذي الحجة سنة 749 (1358)، وقضى في الحكم سبع سنوات وتسعة أشهر.

أبو بكر، خلف أباه أبا عنان، وحكم فقط سبعة أشهر وعشرين يوما.

أبو سالم، خلف ابن عمه أبا بكر، وحكم لمدة سنتين وثلاثة أشهر، ومات سنة 762 (1360).

أبو عمر تاشفين، خلف أخاه أبا سالم وحكم ثلاثة أشهر فقط.

أبو زيان محمد، خلف أخاه أبا عمر، وحكم لمدة خمس سنوات، ومات سنة 768(1366).

أبو فارس عبد العزيز، خلف ابن عمه أبا زيان، وحكم ما يقرب خمس سنوات، ومات في تلمسان في شهر ربيع الأول من سنة 773 (1271).

محمد سعيد، خلف أباه أبا فارس، وتم عزله سنة 776، بعد أن حكم ثلاث سنوات فقط.

أبو تاشفين عبد الرحمان، خلف محمد سعيد وبويع بمراكش، في بداية سنة 777 (1375). لا يعرف تاريخ وفاته على وجه اليقين.

أبو سعيد الثاني، بويع سنة 812 (1409)، تعاطى للهو والفجور. لذلك ثار ضده سكان فاس، وقتل طعنا من قبل وزيره. وخلفت وفاته فوضى مستمرة بموريتانيا لمدة تناهز ثمان سنوات، بحيث أصبحت عدد من الأقاليم والمدن تحكم نفسها بنفسها، وحسب إرادة السكان. ولذلك استقبل تولي عبد الحق في موريتانيا بفرحة كبيرة. وفي عهده تمكن الدون جواو الأول الذي لا يهزم، من احتلال مركز سبتة، الذي ظل محتفظا به من قبل البرتغاليين.

عبد الحق، ابن أبي سعيد، تعسف على رعيته، وقتل في النهاية من قبل شريف كان موجودا بفاس وبويع ملكا. عندما علم مولاي محمد الوطاسي بذلك، ووصل إلى أبواب فاس، تم صده. ثم قام بمحاولة ثانية، وأرغم الشريف على البقاء محصورا بفاس.

وعندما علم الملك الدون ألفونسو الخامس بهذه الانقسامات، ذهب مع أسطول قبالة أصيلا سنة 1471، وألحقها بسيادته بالقوة.

مولاي محمد الوطاسي الملقب بمولاي الشيخ، ذهب لإنجاد أصيلا، فوجدها هي وطنجة تحت سيطرة البرتغال. عقد هدنة مع الملك الدون ألفونسو وعاد لمحاصرة فاس، حيث طرد منها الشريف المذكور. وأصبح هو أول فرع من بني مرين أو من بني وطاس يبايع في فاس. وخلفه ابنه مولاي أحمد. وفي عهده ظهرت أسرة الشرفاء السعديين الذين قتلوه. في عهد حكم بني وطاس تمكنت البرتغال من الحصول على أكبر الفتوحات بموريتانيا، وكدليل على ذلك، يكفي القول بأنه من جهة الجنوب،كان البرتغاليون حاكمين على ما يفوق مائة ليغوة من السواحل من أزمور إلى سانطا كروز، ووصلوا إلى وسط البلاد بغزواتهم على أبواب مراكش. وفي النهاية، فإن عددا كبيرا من القبائل المورية فضلت التحالف معنا، إما بسبب التقدير الذي وجدوه عندنا، أو لعدم رغبتهم في البقاء تحت طاعة عدد كبير من الحكام المتناوبين باستمرار على الملك والحكم، بدون أن يقدروا على حمايتهم.

الأسرة السادسة
الشرفاء السعديون

مولاي أحمد الأعرج، ابن أبي عبد الله محمد. ولد بدرعة، في سنة 891 (1486) وبويع سنة 918(1512). وفي مراكش سنة 930(1524)؛ لكن ملك فاس اتجه إلى مراكش لمهاجمة الملك الجديد. وبعد مدة قليلة من ذلك تم تقسيم الامبراطورية بين الملكين فأصبح الشرفاء حكاما على ما بين تادلة إلى جهة مراكش، وسوس وباقي الأقاليم الغربية، وبنو مرين أو بنو وطاس على جهة فاس وباقي الأقاليم الشرقية. قتل مولاي محمد على يد الأتراك، ومولاي أحمد الذي كان قد بويع أيضا، قتل بأمر من [عامل] ابن أبي بكار، حاكم مراكش، الذي خشي أن تتم بيعته من جديد. وحكم لمدة ثمانية وعشرين عاما، ومات سنة 964(1557).

أبو عبد الله محمد الشيخ، ولد في درعة، سنة 893 (1486)، وبويع في مراكش في سنة951 (1544)، فتح فاس وطرد منها الملك المريني في سنة 956(1549)وقتل المريني وكل أبنائه، لكن فر أحدهم، المسمى أبو حسون، الذي انتقل إلى الجزائر وطلب العون من الأتراك ضد مغتصب ملك أبيه؛ ودخل إلى فاس يوم 3 صفر سنة 961(1554)، بعد أن أجبر المغتصب المذكور على الفرار. لكن حكمه لم يستمر سوى مدة قليلة، لأن مولاي محمد عاد من مراكش، وتلت ذلك معركة جرت بينهما قرب فاس في مسلمة

أسفرت عن مقتل أبي حسون. وبذلك أصبح مولاي الشيخ سيدا على كل موريتانيا. وقد دفعه انتشاؤه بانتصاراته إلى الإعلان عن المشروع الذي فكر فيه والمتجلي في الذهاب إلى مصر، وطرد الأتراك منها، ناعتا ملكهم سليمان بامبراطور الحواتة. أمر سليمان أتراك الجزائربأن يحضروا له رأسه، وقد تمكنوا من قطعها في إحدى أسفاره، عندما كانوا يرافقونه في ناحية سوس، يوم 29 ذي الحجة سنة 964 (1557). وقد حكم ثلاث عشرة سنة، قضاها كلها في حروب ضد البرتغاليين، الذين انتزع منهم حكم بلاد الجنوب والقلاع التي كانت لهم بها، والتي ظلت خاضعة لهم لمدة إثنين وسبعين سنة، وأرغمهم أيضا على إخلاء أصيلا وأزمور وأسفي.

أبو محمد السادس، عبد الله، ابن أبي عبد الله محمد، بويع سنة 965(1557)، وتوفي من مرض بالقلب، يوم 29 من رمضان عام 981(1573) بعد أن حكم لمدة ست عشرة سنة.

مولاي محمد، ابن أبي محمد عبد الله، بويع في مراكش وفاس سنة 981 (1573). وحكم سنتين.

مولاي عبد المالك، عم مولاي محمد، دخل إلى فاس في نهايات شهر ذي الحجة من سنة 983 (1575)، وهزم مولاي محمد قرب سلا. عندما رأى ما أحدثه به عمه من تضييق، انتقل إلى البرتغال طالبا العون من الملك الدون سباستيان ضده. وقد قدم له العون، وانتقل بشخصه إلى موريتانيا ليقره على العرش، مشترطا عليه تسليمه كل الثغور البحرية. وقعت المعركة التي

شنها الملك الدون سباستيان على الموريين، والتي سقط فيها مجللا بالمجد مع جيشه، ما بين وادي المخازن والقصر الكبير. كان الجيش البرتغالي مكونا من 12000 رجلا، ومعهم بعض أتباع مولاي محمد وبعض قطع المدفعية، وهو بذلك لا يقارن بالجيش المغربي القوي. وقعت هذه المعركة التي لا تنسى، في نهاية شهر جمادى الأولى سنة 986 (1578)، ومات فيها ثلاثة ملوك: الدون سباستيان، ومولاي محمد وعمه مولاي عبد المالك، الذي دام حكمه أربع سنوات فقط. أمر خلفه مولاي أحمد بأن يدفن الملك الدون سباستيان في مكان معلوم لمعرفته عند اللزوم، وبعد ذلك أعيد جثمانه إلى البرتغال، حسب ما يرويه التاريخ.

مولاي أحمد الثاني، المنصور، أخ مولاي عبد المالك، بويع في مكان المعركة من قبل الجيش، وبعد ذلك بفاس، يوم 10 جمادى الثانية سنة 986 (1578). كتب في الحال إلى القسطنطينية وإلى ملوك القوى المجاورة، وجاءت بعد ذلك سفاراتهم لتهنئته، وكان سفير الجزائر أول المهنئين، وبعده مبعوثو الدون هنريك، عم الملك الدون سباستيان، الذين قدموا له هدية غنية بالأثواب الثمينة والرهيفة، وحملوا أيضا 3000 صنيدقا من النقود الذهبية، وبعدهم، مبعوثو ملك قشتالة، ومعهم هدية أخرى ثمينة، تتضمن أحجارا كريمة كبيرة من الزبرجد وغيره من الأحجار الثمينة؛ لدرجة أن الناس لم يعودوا يعرفون أيا منها يفضلون على الأخرى. وتلا ذلك أرسال السلطان الأعظم، [تركيا] وملك فرنسا وغيره من

الملوك. أخضع المنصور بلاد إثيوبيا لحكمه[40]، سنة 970 (1582)، وأصبحت تابعة له. ولقب بالذهبي. لم تقع في كل المدة التي دام فيها حكمه، والتي بلغت ستا وعشرين سنة، أي ثورة[41]. مات بالطاعون في فاس سنة 1012(1603).

مولاي زيدان، الإبن الأصغر لمولاي أحمد، بويع في فاس، يوم 16 من شهر ربيع الأول، من سنة 1012(1603). وقعت بينه وبين منافسه مولاي فارس، معركة قرب نهر أم الربيع، انهزم فيها مولاي زيدان. بويع **مولاي الشيخ** بفاس، وأبحر إلى إسبانيا؛ طلب قرضا من ملكها فيليب الثاني، وسلم له القصر[42]. وفي شهر رمضان قتله الموريون قرب تطوان. ومات مولاي فارس مخنوقا في فاس من لدن مولاي عبد الله، ابن مولاي الشيخ. و مات مولاي زيدان يوم 10 محرم من سنة 1307(1627).

مولاي عبد المالك الثاني، الابن الأكبر لمولاي زيدان. خلف أباه، وبويع بمجرد وفاته؛ لكنه كان يعيش حياة بدون قيود، ومات وهو في حالة سكر شديد، يوم6 شعبان من سنة 1040 (1630) بعد أربع سنوات من الحكم.

40- يقصد بلاد السودان الغربي .

41- مخالف للواقع لأن عهد المنصور عرف عدة ثورات، من بينها ثورة الناصر وابن قراقوش وابنه محمد الشيخ المامون الخ .... ولعل الكاتب خلط بين عهده وعهد عبد الله الغالب الذي لم يعرف ثورات تذكر.

42- يتعلق الأمر بالعرائش وليس بالقصر.

مولاي الوليد، ابن مولاي زيدان، ارتقى إلى العرش بسبب موت أخيه مولاي عبد المالك، وبويع يوم 6 شعبان من سنة 1040(1630). وقتل يوم 14 رمضان من سنة 1045 (1635) على يد أربعة من عبيده. في عهده تم استشهاد القديس جواو دو برادو، ولي طنجة في مراكش.

مولاي محمد الثاني، ابن مولاي زيدان، بويع في مراكش يوم 15 من رمضان 1045 (1635) ومات في سنة 1064 (1653) بعد أن حكم لمدة تسع عشرة سنة.

مولاي أحمد الثالث، ابن السابق، بويع في 1064(1653)، ومات سنة 1069 (1658) من لدن قبيلة الشبانات. استمرت الحروب الأهلية التي تفاقمت بموت هذا الملك الأخير لهذه الأسرة، إلى أن اعترف بالدولة الحاكمة حاليا، واستقرت في العرش.

الأسرة السابعة
الحاكمة حاليا بالمغرب

مولاي محمد الثالث[43]، ابن مولاي علي الشريف، بويع بسجلماسة في سنة 1050 (1640)، وفي فاس في آخر يوم من جمادى الثانية من سنة 1056(1646). وجرت بينه وبين أخيه مولاي الرشيد معركة طاحنة، جرح خلالها ثم مات يوم 9 محرم من سنة 1075 (1664).

مولاي الرشيد، بويع بعد مدة قليلة من وفاة أخيه، وتمت البيعة بفاس في أول يوم من ذي الحجة في أول يوم من ذي الحجة من سنة 1076(1665)، وتوفي في حادثة مؤسفة يوم 10 من شهر ذي الحجة من سنة 1082 (1672) وله من العمر أربعون سنة، ومن الحكم سبع سنوات.

مولاي إسماعيل، بويع في فاس، وله من العمر ست وعشرون سنة، وذلك عشرة أيام بعد وفاة أخيه مولاي الرشيد. أخذ من الإسبان مرسى المعمورة يوم 14 ربيع الثاني من سنة 1092(1681)، والعرائش يوم 12 من محرم من سنة 1101(1689)، ومن الانجليز مرسى طنجة في سنة 1095(1684). مات هذا الأمير في سنة 1139

43- يعتمد المؤلف ترتيبا لا علاقة له بالدول، فمحمد الأول العلوي يصبح الثالث بترتيب كل الأسر التي تعاقبت على حكم المغرب.

(1727)، وقضى بذلك أربعا وخمسين سنة في الحكم، قضاها في الاضطرابات والفوضى والظلم.

مولاي أحمد الرابع، ابنه، بويع من الفرق العسكرية الزنجية بمكناس. وكان ينافسه على الحكم أخواه مولاي عبد المالك ومولاي عبد الله. مات مولاي عبد المالك ذبيحا بمكناس، وبويع مولاي عبد الله. ومات مولاي أحمد من مرض الاستسقاء سنة 1142 (1729).

مولاي عبد الله، ابنه، أمير عنيف، بويع وخلع عن العرش ست مرات. بايع جيش "العبيد" بدله مولاي علي، أخاه، في سنة 1734. مات في فاس يوم 12 نونبر من سنة 1757.

مولاي محمد الرابع[44]، ابن مولاي عبد الله، ارتقى إلى العرش سنة1171 (1757)، ولم يعرف حكمه ثورات. صادق على اتفاقيات السلم التي كانت قد وقعت بين عمه مولاي أحمد وانجلترا سنة 1728، وبين أبيه وهولاندا سنة 1732؛ وعقد السلم مع الدنمارك سنة 1757، ومع السويد سنة 1763، ومع البندقية سنة 1765، على أن تدفع كل منها سنويا مبلغا ماليا معينا. وكذلك مع حكومة مالطة حيث تم الاتفاق معها على هدنة، لأنها لم تستطع أن تبرم معه السلم. وصادق أيضا على اتفاقيات السلم مع فرنسا وإسبانيا سنة 1767، ومع البرتغال سنة 1773، ومع توسكانا سنة 1782، ومع كل الدول التي رغبت في ذلك. جلبت له هذه الإجراءات الحكيمة تجارة نشيطة، وبالتالي أرباحا

44- ابتداء من عهد هذا السلطان، وقعت اتفاقية السلام بين المغرب والبرتغال، وأصبح لهذه الأخيرة تمثيل دبلوماسي قار بطنجة، وأصبحت المعلومات أكثر تفصيلا وأهمية.

عظيمة، وخاصة من تصدير الحبوب، مما أدى إلى إنعاش الفلاحة وارتفاع منتوجها. كان سياسيا كبيرا، وكانت له مراسلات مع الملوك المسيحيين، الذين حافظ معهم على أحسن العلاقات، وخاصة مع السيدة الدونا ماريةالأولى، المأسوف على ذكراها[45]. وكدليل على هذه الحقيقة، ننقل هنا واحدة من الرسائل الكثيرة التي كتبها إلى نفس الملكة:

"إلى أنبل وأعظم الملوك المسيحيين، الدونا مارية، راينة البرتغال والغرب والخ. يصلك بواسطة خديمنا محمد لعناية، الذي بعثناه سفيرا إلى حضرتك، ستة صناديق من الثياب المصنوعة بهذه البلاد، التي نقدمها لك عربونا عن صداقتنا الأكيدة، والتقدير الكبير الذي نكنه لكم والذي هو في مرتبة عالية لم يصل إليها أي أحد من المسيحيين، وبما أننا متيقنون أيضا من صداقتك الأكيدة والخالصة لجانبنا بعثنا إليكم بواسطة نفس السفير مائة صندوق وبها 200000 دورو لكي تظل مودعة هناك إلى أن نقرر في شأنها . في 3 شتنبر من 1780."

وهناك أيضا العديد من الدلائل عن التقدير والاحترام والكرم الذي أبداه في مناسبات مختلفة للملوك البرتغال، ومنها على سبيل المثال تزويد رجال الأسطول بكل الأقوات وما هو ضروري بدون حقوق. مات يوم 11 أبريل من سنة 1790.

45- يقصد ملكة البرتغال.

مولاي اليزيد، ابن مولاي محمد، ولد سنة 1748، أمير مقاتل وسخي، بويع من قبل جيش العبيد في دجنبر من سنة 1778، في سلا، الرباط، يوم 14 أبريل من سنة 1790. أرسلت فاس إليه في تطوان حيث كان يوجد وفدا مكونا من 300 من الأعيان، لتهنئته، وكذلك فعلت أكثر المدن وكل المملكة. رغب في تمييز البرتغال عن غيرها من الدول، وكتب الرسالة التالية إلى الملكة المخلصة المأسوف على ذكراها، مخبرا إياها بوفاة والده، وارتقائه إلى العرش:

" إلى كبيرة قومها العظيمة السيدة دونا مارية إيزابيل، رينة البرتغال. ننهي إلى علمكم أن والدنا وسيدنا، قدس الله روحه، انتقل من هذا العالم، إلى الدار المشتركة لكل المخلوقات، ونحن به لاحقون، وأن الله مكننا من العرش بإرادته، وبدون حول منا أو قوة، لأنه ينزع الملك أو يهبه لمن يشاء، لا راد لقضائه، ولا يخفى عليه شيء. وبما أن قنصلكم جورج كلاصو قدم للقائنا، وطلب منا أن نحافظ معكم على ما كان عليه الأمر في حياة والدنا، فقد نزلنا عند رغبته، وها نحن معكم على السلم وحسن العلاقة؛ و[عليه] فابعثوا لنا سفيركم لنتفق معه على ما يجب عمله؛ وليكن في علمكم أنه سيستقبل من لدننا، وأننا نميز دولتكم عن كل الأجناس الأخرى. والسلام وحرر في 15 من شهر شعبان من عام 1204 الموافق لـ26 أبريل 1790 ".

مات هذا الملك ميتة مأساوية.

مولاي سليمان، بويع بفاس يوم 14 مارس 1792. وصادق البرتغال معه على اتفاقية السلم بمدينة فاس يوم 22 يوليوز 1798. كان يعامل البلاط البرتغالي معاملة نبيلة، ومنحه عدة موانئ خاصة للتجارة، ولتصدير الحبوب وقطعان الماشية، سواء مقابل حقوق خفيفة أو بدون مقابل، وهب للبرتغال 20000 فنيقة من القمح و2000 ثور معفاة من الحقوق في يناير من سنة 1809، وعندما علم أن الفرنسيين قد طردوا من المملكة، أمر بتمتيع لجنة الغرب بقرض من المال.

"سفارة برتغالية إلى المغرب": كانت الملكة المذكورة أول من اعترف به، وأرسلت إليه سفيرها للتصديق معه على السلم، الذي تم التوقيع عليه في يوم 22 يونيو من سنة 1798. فقد قررت صاحبة الجلالة السيدة الدونا مارية الأولى، المأسوف على ذكراها، تقديم التهنئة إلى مولاي سليمان بمناسبة ارتقائه إلى العرش، والتصديق معه على السلم القائم بين الدولتين، وعينت سفيرا لها جورج بيدرو كلاصو للذهاب والقيام بهذه المهمة المشرفة جدا، تقديرا لخصاله السامية، وكفاءته في منصب القنصل العام الذي كان يزاوله منذ سنوات عديدة ببلاد المغرب. كان هذا القنصل مقيما بطنجة، فتكلف بالهدية وبإبحارها مع الوفد المرافق لها والأمتعة، للسفر إلى بلد لا يتوفر على فنادق ولا أماكن لإقامةالغرباء، ولا يتوفر على كل أشكال الرفاهية، على متن الفرقاطة تتيس(Thetis) بقيادة قبطان البحر والحرب جوزي بيدرو بيريرا ليت. أركب السفير بيدرو كلاصو الوفد الضروري، الذي كان يتألف من كاتب مترجم، وليوتنان وسرجان و16 جنديا

و6 موسيقيين من القصر الملكي، وحلاق وسائس وطباخ وغيرهم من المرافقين الضروريين؛ وأبحرت الفرقاطة المذكورة نحو طنجة يوم 5 مايو من سنة 1798. ورست في طنجة وأنزلت كل شيء يوم 11 من نفس الشهر، وساروا إلى فاس حيث يقيم الملك، يوم 4 من شهر يونيو الموالي، ووصلوا إلى هناك يوم 13 من نفس الشهر، وأقاموا ضيوفا بالقصر الملكي المسمى دار الدبيبغ، الواقع على ضواحي هذه المدينة على مسافة نصف ليگوة. ويوم 17 سمح لهم باللقاء الأول، ويوم 22 تمت المصادقة على الاتفاقية مع الشرط الملحق، وحظوا بلقاء الوداع من الملك يوم 25. وتوجهوا إلى مكناس يوم 27 من نفس الشهر، وفي يوم 2 يوليوز توجهوا إلى طنجة التي وصلوها يوم 8، وحظوا من السلطان بأكبر مظاهر الحفاوة والصداقة، وكذلك من وزرائه ورجال بلاطه، وكذلك الشأن بالنسبة لكل الباشوات والقواد في ذهابهم وإيابهم، الذين أحاطوهم بحراسة عالية المستوى وبكل التسهيلات. توفي سليمان في 21 نونبر من سنة 1822.

مولاي عبد الرحمان، ابن مولاي هشام، بويع في مراكش؛ وفي فاس، في بدايات دجنبر 1822، وفي تطوان في 19، وفي طنجة في 21، ثم بالتوالي في باقي المدن والأقاليم. ومن خلال رسائله نتبين الرغبة التي كانت لديه في المحافظة على السلم مع كل الدول.

"**معركة إيسلي**": في سنة 1844، كان إعلان الحرب من فرنسا على المغرب، ويعود السبب الرئيسي لذلك إلى الهجومات المتكررة التي كان يقوم بها الأمير عبد القادر على حدود الجزائر،

والتي كان يظهر أنها برضى وتواطؤ من حكومة السلطان. تلقى المغاربة نبأ الحرب بحماس شديد في كل البلاد، لكن اندلاع القتال أكد للمغاربة بأن أسلحتهم لا يمكنها أن تصمد أمام جيش منظم، أقل عددا بكثير، كما وقع مع الجيش الفرنسي بقيادة المارشال بيجو، في 14 غشت من سنة 1844، حيث أن عدد الرجال من مختلف أنواع الأسلحة لم يتعد 10000 رجل، و16 قطعة مدفعية، ومع ذلك تمكن من دحر الجيش المغربي بجوار وادي إيسلي، على مقربة من وجدة، على الرغم من قوة الجيش المغربي وكثرة رجاله، وكان برئاسة الأمير مولاي محمد ابن مولاي عبد الرحمان، الذي سيصبح فيما بعد ملكا على هذه الامبراطورية، مرفوقا بخيرة مقاتلي عبد القادر، بحيث قدر البعض عدد هذه القوات ب 60000 رجل.

وقد واكب هذه العمليات العسكرية الفرنسية على الحدود الجزائرية، عمليات أخرى من الأسطول بقيادة الأمير جوانفيل في السواحل المغربية، حيث قام يوم 6 غشت 1844 بقنبلة طنجة، وفي يوم 15 من نفس الشهر قنبل الصويرة، بأفضل جيش، وتلا ذلك صلح مشرف لفرنسا ومناسب للمسيحيين المقيمين بالمغرب.

استفادت السويد والدنمارك من المناسبة، وتوقفتا عن دفع الإتاوات المالية الضخمة السنوية التي كانتا تدفعانها مقابل السلام مع المغرب. وكانت هناك سفن عسكرية أجنبية متعددة في هذه الفترة عاينت الأحداث في مياه هذه الامبراطورية، وعرضت الحماية على المسيحيين.

"زيارة الملك البرتغالي لطنجة": في ماي من سنة 1856، تمت زيارة طنجة وتطوان من لدن صاحب الجلالة الملك السيد الدون فرناندو دو برتغال، الذي أمر أن تتم الزيارة في منتهى التكتم، ومع ذلك فقد استقبل بحفاوة ومحبة، وغادر جلالته المغرب مرتاحا من مقامه بين هاتين المدينتين.

"اتفاقية التجارة مع بريطانيا": في شهر دجنبر من نفس السنة، وقعت بريطانيا العظمى اتفاقية للتجارة مع السلطان عبد الرحمان، وخولت الامتيازات المتضمنة فيها رسميا إلى كل الدول الأخرى الممثلة هنا ممن رغبت في ذلك.

وفي يوم 6 شتنبر 1859 وصل إلى طنجة خبر وفاة الملك المذكور، بمدينة مكناس في نهايات شهر غشت، وقد تم دفنه في الضريح الكبير لمولاي إسماعيل بنفس المدينة، وقد حكم لمدة سبعة وثلاثين سنة.

بويع **مولاي محمد**- الابن الأكبر للملك المتوفى، وهو نفسه الذي قاد جيش السلطان سنة 1844 في إيسلي - وذلك بفاس ومكناس بمجرد وفاة والده. وكان خليفة لوالده في مراكش منذ تلك الفترة المشؤومة. تم الاحتفال ببيعته في طنجة يوم 12 شتنبر من نفس السنة، كما تم الاعتراف بارتقاء سيدي محمد إلى العرش المغربي في نفس الوقت في كل الأنحاء الأخرى من البلاد. بالرغم من وجود تخوف وقلق مما قد يقع بعد وفاة عبدالرحمان، مما تسبب في قدوم عدد من سفن الحرب الأجنبية إلى المياه المغربية،

ومن بينها قطع من الأسطول البرتغالي بقيادة صاحب السمو السيد الأمير الدون لويش الملك الحالي للبرتغال، الذي أعطى قوة معنوية كبيرة للأشخاص الذين أضناهم القلق والجزع.

"حرب تطوان": من سوء حظ سيدي محمد أنه وجد علاقات حكومته مع إسبانيا على درجة كبيرة من التعقيد، والسبب الرئيسي يعود إلى الحدود مع سبتة ومليلية، هاتان الحاميتان اللتان كانتا محل عداء من القبائل المجاورة، بحيث لم يستطع تفادي الحرب التي أعلنتها تلك الدولة عليه، والتي دامت من نونبر 1859 إلى مارس 1860، وانتهت بمعركة وادراس[46] الدامية، التي خاضها الطرفان بالبسالة التي ميزت المعارك السابقة التي رافقت مسيرة الجيش الإسباني من تطوان باتجاه إسبانيا، ما بين المكان المسمى بوصفيحة والفندق. هذه المسيرة المظفرة التي توقفت بسبب عروض الصلح التي تلقاها الجنرال الإسباني أو دونيل من لدن الأمير مولاي العباس، قائد الجيش وأخ السلطان، يوم 24 من نفس شهر مارس الموالي للمعركة، وقد شارك في تلك الحملة الشرسة صاحب السمو السيد كونت إيو[47]، بشكل ملفت للنظر، معرضا حياته للخطر.

كانت صدمتا سنتي 1844 و1859، اللتين تعرض لهما سيدي محمد، سواء كأمير أو كملك، شديدتي الوقع على كبرياء المغاربة، وبينتا بوضوح تخلف أسلحة المغاربة الضعيفة في

46 -Uad- Ras

47 -Conde d'Eu

مواجهة الجيوش العصرية. على الرغم من الشجاعة والخصائص القتالية التي لا يرقى إليها الشك عند أبناء هذا البلد.

في نونبر من سنة 1860، وقع حادث غرق الكورفيطة البرازيلية الدونا إيزابيل بسواحل المغرب، وهو من أكثر الأحداث المؤسفة التي عرفتها البلاد. وقد نجا ركابها من كارثة محققة بواسطة جهود الأمير مولاي العباس، الذي تسلم من جلالة امبراطور البرازيل وسام الصليب الأكبر[48]، امتنانا على عنايته، ويعتبر هذا الوسام أول هدية تقدم إلى أمير مغربي.

بعد اتفاق السلم المبرم مع إسبانيا، تم التوقيع أيضا على اتفاقية للتجارة في نونبر 1861. ويعتبر، مع ذلك الموقع مع انجلترا سنة 1856، الأحدث والمتوفرين أكثر على أفضل الشروط لصالح رعايا البلدين والتجارة والملاحة.

في يناير 1862، وقع الاتفاق بين بلجيكا وسيدي محمد، إجمالا على تمتيع رعاياها وتجارتها في المغرب بالامتيازات المسلمة و المخولة للدولة الأكثر تفضيلا.

بعد أن ظهر في البلاد نوع من التوجه نحو اضطهاد الإسرائيليين، قام الطبيب اليهودي السير موسى مونتيفيور برحلة إلى البلاط الشريفي، مدعوما في مهمته الحميدة، ماديا من قبل

48 -A Gran –Cruz da ordem da Rosa

مواجهة الجيوش العصرية. على الرغم من الشجاعة والخصائص القتالية التي لا يرقى إليها الشك عند أبناء هذا البلد.

في نونبر من سنة 1860، وقع حادث غرق الكورفيطة البرازيلية الدونا إيزابيل بسواحل المغرب، وهو من أكثر الأحداث المؤسفة التي عرفتها البلاد. وقد نجا ركابها من كارثة محققة بواسطة جهود الأمير مولاي العباس، الذي تسلم من جلالة امبراطور البرازيل وسام الصليب الأكبر[48]، امتنانا على عنايته، ويعتبر هذا الوسام أول هدية تقدم إلى أمير مغربي.

بعد اتفاق السلم المبرم مع إسبانيا، تم التوقيع أيضا على اتفاقية للتجارة في نونبر 1861. ويعتبر، مع ذلك الموقع مع انجلترا سنة 1856، الأحدث والمتوفرين أكثر على أفضل الشروط لصالح رعايا البلدين والتجارة والملاحة.

في يناير 1862، وقع الاتفاق بين بلجيكا وسيدي محمد، إجمالا على تمتيع رعاياها وتجارتها في المغرب بالامتيازات المسلمة و المخولة للدولة الأكثر تفضيلا.

بعد أن ظهر في البلاد نوع من التوجه نحو اضطهاد الإسرائيليين، قام الطبيب اليهودي السير موسى مونتيفيور برحلة إلى البلاط الشريفي، مدعوما في مهمته الحميدة، ماديا من قبل

48 -A Gran –Cruz da ordem da Rosa

الحكومة البريطانية، ومعنويا من البرتغاليين وغيرهم، وذلك للمطالبة بتدخل السلطان لصالح أبناء ملته؛ وحصل من سيدي محمد على ظهير أو [قرار، منشور] يتضمن تدابير ترتكز على أكبر مبادئ العدالة، موجهة لكل حكامه بأن يعاملوا الإسرائيليين، وفق تلك المبادئ، وأن يعامل اليهود في المحاكم على قدم المساواة مع المسلمين، وأن يعاملوا في كل شيء باحترام لأشخاصهم وممتلكاتهم، وأن كل من يتعرض لهم، يعاقب بعون الله. كانت هذه العبارات المتضمنة في الظهير المشار إليه، المكتوب يوم 26 شعبان من سنة 1280(5 فبراير من سنة 1864). وكان السير موسى قد ذهب إلى بلاط مراكش في دجنبر من نفس السنة[السنة السابقة]، وقام برحلته عن طريق البحر إلى ميناء أسفي، على متن الباخرة الانجليزية "ماجيسيان"[49]، التي وضعتها الدولة البريطانية تحت تصرفه، وكان مرفوقا بالقنصل الانجليزي بطنجة، وبكومندان الفرقاطة عند مثوله أمام سيدي محمد.

في سنة 1865 أرسلت ملكة إسبانيا الدونا إيزابيل الثانية هدية إلى السلطان سيدي محمد مكونة من أربع قطع للمدفعية[50]، صنعت خصيصا لهذه الغاية في إشبيلية، وقد وصلت إلى طنجة في شهر مارس على متن باخرة عسكرية إسبانية، ووصلت في أبريل من نفس السنة إلى مكناس مع جميع ما يلزمها من ذخيرة. وعلاوة على ذلك رافقها قبطان للمدفعية من الجيش الإسباني، وليوتنان، وبعض المدفعيين "القيمين" عليها، من أجل

---

49 - Magicienne

50- raiadas أقرب معنى هو مضلعة أو محززة أو محفورة منقوشة .

تشغيلها بحضرة السلطان، وكانت اللجنة مرفوقة بقنصل إسبانيا في طنجة وبعض أفراد جالية بلده بالمغرب.

تلقى نفس السلطان التهنئة في مراكش والرباط وفاس ومكناس، من لدن عدة ممثلين للدول المسيحية، مكلفين لهذا الغرض من قبل حكوماتهم. وفي آخر هذه المدن(مكناس)، تسلم من ممثل البرتغال في يونيو 1865، دبلوم ووسام الصليب الأكبر (Gran-Cruz da ordem militar da Torre e Espada) الذي أنعم به عليه صاحب الجلالة ملك البرتغال، وكان أول توشيح يتسلمه عاهل مغربي من دولة أجنبية.

ولم تسجل خلال حكمه أية حرب أهلية، اللهم انتفاضة أو اثنتين مرتبطتين فقط بالقبيلة التي ظهر فيها الشريف الروكَي، بعد مدة قليلة من النزاع الإسباني - المغربي، وهو الثائر الذي استمال بعض الناس المتعصبين الذين لقبوه بمول الساعة، وكان يرغب في اغتنام فرصة الوضعية السيئة التي كانت البلاد تمر بها، نتيجة للصراع المذكور لإشعال نار حرب أهلية وخلع الملك، وهو الهدف الذي لم يتوصل إليه، لأن المحاولات الأولى تم صدها من لدن الفرق العسكرية الشريفية، وذاق مرارة العقاب على تهوره.

مات سيدي محمد يوم 11 شتنبر 1873 (موافق 18 رجب 1200) بمدينة مراكش بعد أن حكم أربع عشرة سنة.

[ملحق القسم الأول]

1- الرسالة التي بعثها سلطان المغرب سيدي محمد إلى ملك البرتغال الدون لويش[51] الأول، لشكره على وسام الصليب الأكبر (Da Torre e Espada)[52]

(ترجمة)[53]

الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

من عبد الله، الخاضع لمشيئة الله، المفوض أمره ومصيره إليه، أمير المؤمنين، ابن أمير المؤمنين، ابن أمير المؤمنين، ابن أمير المؤمنين، ابن أمير المؤمنين، ابن أمير المؤمنين، ابن أمير المؤمنين وهو: تليه العلامة: الإسم والطابع السلطاني، سيدي محمد بن عبد الرحمان، أسعد الله أيامه ونصر أعلامه؛

إلى السلطان الأثير العالم، الذي يعد على رأس القباطنة الكبار، والمصيب هدفه بسهم نافذ، والذي ارتقى في نظرنا إلى أعلى المراتب بسبب قوته ومكانته، الحر، عظيم جنس البرتقال، الملك الأشرف لويش الأول (بريميرو) الخ ... وصلت إلى مقامنا رسالتكم التي تعبر عن الصداقة التامة، والتي تعزز رغبتنا في الحفاظ على تحالفنا النبيل، ووجدنا فيها دلائل بديهية على محبة صادقة لا

---

51 -D.Luiz I

52- البرج والسيف .

53- المقصود بالترجمة في النص، ترجمة النص العربي إلى البرتغالية، وقمنا بترجمة النص المترجم إلى العربية من جديد.

تبلى مع مرور الأزمان، ودلائل على استقامتكم وإخلاصكم الكامل، وهي بذلك ستظل دائما تحت نظرنا السديد. ووصلنا مع الرسالة، التمييز الذي خصصتم به جنابنا حفظه الله، بواسطة الهدية التي تمنح لكبار الملوك، وتعتبر من المراتب العسكرية لدولة البرتغال، والتي حملت إلينا من لدن ممثلكم، المتميز، الفارس الشهير، القنصل العام لبلادكم بديارنا، حفظها الله، وفعلا، عبرنا عن رضانا لهذه الهدية، التي قبلناها بفرحة كبيرة وابتهاج ، لأن الرجل العاقل هو الذي يسعد بكل ما يصله من شخص عزيز عليه؛ ويعبر في نفس الوقت عن التقدير للموظف الذي جاء باسمه. لا يخالجكم أدنى شك؛ أنتم، في اعتبارنا، من الدول الأكثر تفضيلا، وصداقتنا معكم قديمة، ومبنية على أسس قوية وعميقة، وعلاقات الصداقة التي جمعت أسلافنا بأسلافكم مشهورة ومعروفة من كل الناس. وقد أظهر لنا ممثلكم المذكور، شيئا ليس غريبا علينا، وهو خصائلكم الرفيعة، و المكانة الكبيرة والتي ما تزال في تزايد إلى أن تصل إلى ما نتمناه لكم، مجددين ومعززين روابط الصداقة. هذا يبين بدون الحاجة إلى دلائل أكثر، الاهتمام والأمانة اللذين يزاول بهما ممثلكم مهامه، والحماس الكبير الذي يحركه من أجل التسيير الحسن لمختلف المهام الموكولة إليه. والسلام في 22 محرم الحرام عام 1282، الموافق ل 17 يونيو 1865.

*****

2- منارة رأس اسبارتيل

ونحن بصدد الحديث عن سنة 1864، من المفيد التذكير بأن يوم 15 أكتوبر من نفس السنة، عرف تدشين وإنارة أول منار أقيم بالمغرب، وهو المنار الذي شيد في رأس اسبارتيل، أقصى

تبلى مع مرور الأزمان، ودلائل على استقامتكم وإخلاصكم الكامل، وهي بذلك ستظل دائما تحت نظرنا السديد. ووصلنا مع الرسالة، التمييز الذي خصصتم به جنابنا حفظه الله، بواسطة الهدية التي تمنح لكبار الملوك، وتعتبر من المراتب العسكرية لدولة البرتغال، والتي حملت إلينا من لدن ممثلكم، المتميز، الفارس الشهير، القنصل العام لبلادكم بديارنا، حفظها الله، وفعلا، عبرنا عن رضانا لهذه الهدية، التي قبلناها بفرحة كبيرة وابتهاج ، لأن الرجل العاقل هو الذي يسعد بكل ما يصله من شخص عزيز عليه؛ ويعبر في نفس الوقت عن التقدير للموظف الذي جاء باسمه. لا يخالجكم أدنى شك؛ أنتم، في اعتبارنا، من الدول الأكثر تفضيلا، وصداقتنا معكم قديمة، ومبنية على أسس قوية وعميقة، وعلاقات الصداقة التي جمعت أسلافنا بأسلافكم مشهورة ومعروفة من كل الناس . وقد أظهر لنا ممثلكم المذكور، شيئا ليس غريبا علينا، وهو خصائلكم الرفيعة، و المكانة الكبيرة والتي ما تزال في تزايد إلى أن تصل إلى ما نتمناه لكم، مجددين ومعززين روابط الصداقة. هذا يبين بدون الحاجة إلى دلائل أكثر، الاهتمام والأمانة اللذين يزاول بهما ممثلكم مهامه، والحماس الكبير الذي يحركه من أجل التسيير الحسن لمختلف المهام الموكولة إليه. والسلام في 22 محرم الحرام عام 1282، الموافق ل 17 يونيو 1865.

*****

2- منارة رأس اسبارتيل

ونحن بصدد الحديث عن سنة 1864، من المفيد التذكير بأن يوم 15 أكتوبر من نفس السنة، عرف تدشين وإنارة أول منار أقيم بالمغرب، وهو المنار الذي شيد في رأس اسبارتيل، أقصى

غرب المنطقة الشمالية لهذه المملكة، وأقيم في جنوب المدخل من جهة المحيط على مضيق جبل طارق، بهدف إرشاد الملاحين في طريقهم ليلا من المحيط إلى البحر المتوسط أو العكس، وليمنع - قدر الإمكان- تكرار حوادث الغرق الخطيرة التي كانت تقع عدة مرات بسبب انعدام الضوء، وخاصة جنوب هذا الموقع، والتي كانت من بينها الفاجعة المؤلمة التي راحت ضحيتها الكورفيطا الدونا إيزابيل من الأسطول الإمبراطوري البرازيلي، وهي الحادثة التي أدت إلى اقتناع الحكومة المغربية بوجاهة مطالب الدول المسيحية في تشييد منار بهذه النقطة.

تم تشييد المنار على حساب الخزينة الشريفية، لكن حكومة السلطان رفضت المساهمة في نفقة الإضاءة وغيرها من نفقات الإدارة والمتعلقة بنفس المنشأة، بحكم أن هذه البلاد لا تتوفر على بحرية عسكرية أو تجارية، لذلك وقع الاتفاق بين الدول المقيمة هنا على التكفل بها، وفي يوم 31 ماي 1864، تم الاتفاق على أن تظل إدارة المنار على عاتق نفس الدول بواسطة ممثليها، ودفعت هذه الدول بحصص متساوية مبلغ 15000 فرنك، قدرت فيها أيضا النفقات السنوية للمنار.

كانت حفلة التدشين رائعة، وتمت يوم 15 أكتوبر سنة 1864، وأقيمت وليمة في الهواء الطلق، حضرها كل أعضاء الهيئة القنصلية المقيمين هنا، والباشا الحاكم، وكل واحد منهم أنار المصباح بفانوسه الصغير، مجمعين على أهمية هذه المنشأة. وقد نطق الباشا بالعبارات المعهودة: "الله يجعلو مبارك مسعود".

موقع هذا المنار الجغرافي، وارتفاعه، ومداه وهم كما يلي:

- خط العرض : "14 '47 °35
- خط الطول : "50 '15 °8 [خط باريس]
- العلو على مستوى الأرض : 24 مترا
- العلو على المستوى المتوسط للبحر: 95 مترا.
- المدى : 20 ميلا.

إن تشييد منار رأس اسبارتيل، يعتبر بدون شك حدثا هاما يشرف كثيرا ذكرى السلطان المرحوم سيدي محمد أب السلطان الحالي مولاي الحسن.

بعد هذه الأحداث التي تضمنها تاريخ الملوك المغاربة، الذي أمرت بنشره وزارة الخارجية في جريدة "Diario do Governo" رقم 126 بتاريخ 8 يونيو 1874، ينتهي هذا القسم الأول[54]. وسأتحدث فيما يلي عما أتذكره من الأحداث التي تلت ذلك خلال عهد مولاي الحسن، وما يليه إلى الآن، بارتباط مع الملك الحالي مولاي عبد العزيز.

54- قمنا باستخراج المعطيات المتعلقة بتاريخ الملوك المغاربة، إلى آخر عهد السلطان مولاي سليمان سنة 1822، من مذكرات المستعرب البرتغالي الأب جوزي دو سانطو أنطونيو مورا (المؤلف).

القسم الثاني

المغرب في عهد السلطانين

مولاي الحسن ومولاي عبد العزيز

"المغرب في عهد السلطان مولاي الحسن"

مولاي الحسن، ابن سيدي محمد ونائبه بمدينة مراكش، كان يوجد عندما توفي أبوه بإقليم سوس على رأس فرقة عسكرية، مكلفا بمهمة إخضاع بعض القبائل، وحل بعض المشاكل الواقعة بين سكانها، وهناك تلقى النبأ المفجع، وبويع مباشرة من قبل جنوده.

بويع مولاي الحسن بالملك في مدينة مراكش، وبسبب التأثير الكبير لعمه وصهره الأمير مولاي العباس، لم تقم حرب خلافة - على عكس ما هو معهود - بين مختلف الأمراء الذين يرون أن لهم الحق في العرش المغربي، إذ لم يثر أي أحد من إخوة مولاي الحسن أو أبناء الملك مولاي سليمان للمطالبة بالعرش. لكن هذا لم يمنع من معاناة الأوربيين من فترة عصيبة، وأيام من الفزع، خفف منها حلول عدة سفن عسكرية أجنبية بالمياه المغربية لحماية ممثلي دولهم ورعاياهم وغيرهم من الناس الذين كان بإمكانهم التمتع بهذه الحماية في حالة الحرب.

احتفلت المدن والموانئ على التوالي بإطلاق المدفعية، وغيرها من مظاهر الاحتفال بمناسبة صعود مولاي الحسن إلى عرش أسلافه. والإسرائيليات كن يغنين في كل الجهات منشدات: هذي فرحات سيدنا. وبمجرد أن بويع السلطان الجديد في مراكش، انتقل إلى الرباط ومكناس، واشتغل بالإخضاع النهائي لبعض القبائل

قبل أن يذهب فيما بعد إلى فاس، وبويع أيضا في نفس العاصمة كملك على كل البلاد.

خلال الأيام الأولى لحكم السلطان الجديد، مولاي الحسن، أقامت امبراطورية ألمانيا مفوضية لها بطنجة لتمثيلها في امبراطورية المغرب، وكلفت بها الوزير المقيم والقنصل العام السيد ڤون گوليش[55]، وقد ظهرت مؤخرا بهذه المياه فرقاطتان وباخرة ألمانية حربية، ورفرفت بهذه المناسبة الراية البروسية بطنجة لأول مرة. وحسب آخر الأخبار، فإن عددا من الممثلين الأجانب المقيمين هنا يفكرون في الذهاب إلى البلاط الشريفي، بعد موافقة دولهم، لتهنئة السلطان الجديد، والتصديق على المعاهدات.

"**السفارة البرتغالية من أجل التهنئة**": في سنة 1877، كانت المهمة الخاصة التي قررت الحكومة البرتغالية إنجازها لتهنئة سلطان المغرب الجديد، كما وقع مع دول أوربية أخرى، وقد استقبل المبعوث بكل مظاهر التشريف من قبل حكام الأقاليم الموجودة بين طنجة ومكناس، المدينة التي كان يوجد بها البلاط الشريف. وبهذه المناسبة، تضمنت الهدية المعتادة، وسام الصليب الأكبر (البرج والسيف) الذي أهداه جلالة الملك السيد الدون لويش الأول إلى مولاي الحسن، تعبيرا عن التقدير والإكبار لشخص السلطان ووزرائه. وقد عبر السلطان عن شكره

55 -Sr. Von Gulich

في عبارات شبيهة بعبارات والده، كما هو مؤكد في وزارة الشؤون الخارجية.

"سفارة مغربية إلى البرتغال": في السنة الموالية 1878، بعث مولاي الحسن إلى بلاط لشبونة سفارة برئاسة القائد المحترم سيدي الطيب بنهيمة، حاكم أسفي، مكلفا بمهمة خاصة لتهنئة صاحب الجلالة ملك البرتغال. وقد تضمنت الهدية عشرة خيول وهدايا أخرى قيمة لصاحب الجلالة والشخصيات، على ما جرت عليه العادة في مثل هذه المناسبات. وقد تم نقل أعضاء السفارة والهدية من طنجة إلى لشبونة على متن السفينة العسكرية "الهند"[56]؛ لأن العادة جرت - كما هو معلوم- على أن تستقبل حكومات هؤلاء الملوك، السفارات التي تأتيها من المغرب، وتقلها على متن بحريتها الخاصة، لأن الدولة المغربية لم يكن بإمكانها الاعتماد على سفنها الخاصة لهذا الغرض، كما أنها لم تعتد على إرسال سفرائها والسفر على متن السفن العادية. لهذا السبب، ولأسباب أخرى، كان المغرب يحظى بمعاملة خاصة.

"اتفاق مدريد": تميز عهد مولاي الحسن أيضا بحدث هام، وهو الاتفاق الدولي المبرم في مدريد يوم 3 يوليوز 1880. وكان انعقاده نتيجة لبعض الخلافات بين ممثلي الدول الأجنبية حول طريقة تطبيق القانون المعتاد المتعلق بالحماية الخاصة

56 -India

بالأهالي. وتم نصح "الدولة" المغربية باستدعاء الحكومات الممثلة بالمغرب للمشاركة في المؤتمر، من أجل تسوية هذه الوضعية.

وقد تم ذلك بشكل جيد، وحسب ما تتيحه إمكانية التطرق لموضوع أصبح بالضرورة حقا وظاهرة خاصة، ويمس بشكل خطير سيادة الدولة المغربية على رعاياها، مما استلزم أن يعهد الأمر إلى القوى الأجنبية التي كانت تتعامل في الواقع مع المشكل، كلا على حدة، وحسب تأويلاتها المختلفة. ولم يكن بإمكانها التوصل إلى حل بمثابة الحلم، يتفق وما يهدف إليه المؤتمر، في ضوء المناقشات الهادئة من أجل التفاهم. ولكن المؤتمرين، أدخلوا في الاعتبار ما تمثله هذه الفرصة السانحة من إمكانيات إيجابية لا جدال فيها، وأساسا بفضل التأثير المستحق لرجل الدولة المقتدر كونت كازال ريبيرو[57]. والوزير المفوض لجلالة الملك في مدريد، وممثل الحكومة البرتغالية في المؤتمر. تم إبرام الاتفاقية بشكل إيجابي، بسبب تضمنها ضمن فصولها الفصلين 11 و17 ، المتعلقين بالاعتراف لكل الأجانب بحق التملك في المغرب، والاعتراف بحق معاملة الدول الأفضل لكل الدول الممثلة في المؤتمر.

وهذا لوحده لم يكن شيئا قليلا، ولطالما سمعنا كثيرا بأن على المغرب أن يعالج أسباب الحمايات وليس نتائجها لكي يقضي على ضررها، وهذا يعني في كلمات قليلة: أن تكون هناك إدارة قضاء وطنية جيدة. لأن الأجانب محميون بقوانين دولهم،

57- Conde do Casal Ribeiro E.E.

حسب الشروط، وفي منأى عن القضاء المحلي. أما المغاربة المحميون، وبصفتهم رعايا للسلطان وخاضعين لسلطاته، لن يجدوا حاجة إلى اللجوء إلى الأجانب للتحرر من الأحكام التقليدية الجائرة، التي تطبق للأسف في ذلك البلد المتخلف.

"**حادثة العرائش**": وقعت في سنة 1888، حادثة بالعرائش، عرفت بنزاع العرائش؛ وأصل النزاع أن بعض الموظفين المغاربة ارتأوا أن قاربيْ صيد برتغاليين رسيا برصيف الميناء، يعرقلان حركة المرور به، وأن عليهما أن لا يبقيا هناك، وبدلا من أن يقوم هؤلاء الموظفون المغاربة بواجبهم ويطلبوا من نائب القنصل البرتغالي التدخل لاستدعاء رياس المراكب، وإبعادهم إن كانوا فعلا يضايقون حركة الميناء، عمدوا إلى قطع حبال المرساة فجأة وبعنف، مما أدى إلى قيام نزاع بين البرتغاليين والبحارة الموريين، كاد أن يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه؛ لكن، وعندما رأى طاقم المركبين تزايد عدد المهاجمين، وقلة عددهم، اضطروا إلى التراجع إلى مراكبهم، حيث اعتقدوا أنهم محميين في ظل الراية البرتغالية التي رفعوها.

تم هذا، أمام نفس الديوانة، ومن قبل حشود هائجة، وأمام أنظار خليفة قبطان الميناء، الذي كان أكبر متسبب في النزاع.

وبدون إضاعة الوقت، وجه ممثل البرتغال الاحتجاج اللازم إلى الحكومة المغربية، وجرت مفاوضة عسيرة، هادفة إلى رأب الصدع، بدون المس بالعلاقات الطيبة بين الصديقين القديمين البرتغال والمغرب، وهو ما تم التوصل إليه في الأخير، ابتداء بصدور أمر من السلطان بعزل خليفة قبطان ميناء العرائش، المسؤول عن

النزاع، ومعاقبة رؤوس الفتنة، وتحية العلم البرتغالي، بإطلاق واحد وعشرين طلقة مدفعية، وعلاوة على ذلك تم تعويض بحارة المركبين.

وهذه نسخة من الرسالة التي وجهها الوزير سيدي محمد الطريس إلى ممثل البرتغال حول تحية المدفعية .

" صاحب الفخامة المحترم الوزير المفوض لدولة البرتغال السيد جوزي دانييل كلاصو. بعد التحية التامة والسؤال عن أحوالكم، نطلب من الله تعالى أن تكونوا بخير وعافية، وبعد. سبق أن أعلمناكم في الجواب الذي وجهناه إليكم أننا رفعنا إلى الحضرة الشريفة الرسالة التي بعثتموها إلينا، والتي تحتج فيها دولتكم العزيزة، على حادثة بحارة العرائش.

"واليوم وصل إلى حوزتنا الرد الشريف ومعه أمر بالموافقة على طلب حكومتكم العزيزة بإطلاق التحية من مدفعية العرائش لإرضائها. اعتبارا للصداقة العريقة التي تجمعها بالحكومة المغربية، وبهدف الحفاظ على العلاقات الطيبة بين الدولتين، وتقديرا لجهودكم الحسنة بهذا البلد خلال كل المدة التي زاولتم فيها عملكم به.

"وتجدون رفقته رسالة إلى نائب حاكم العرائش سيدي محمد "اللربوط"[58] لكي يتم بالتنسيق مع نائب القنصل هناك، وباتفاق معه، تحديد الساعة التي يجب أن تبدأ فيها طلقات التحية الواحدة والعشرين، مع الصداقة والسلام

---

58 -EL-Lerbut

في 18 صفر 1306/24 أكتوبر 1888. توقيع ج محمد الطريس.

تم إطلاق هذه التحية قبالة السفن الحربية البرتغالية: البارجة "فاسكَو دا كَاما"، والكورفيطة "ملكة البرتغال"[59]، وقد ردتا على التحية، بحضور كل السكان الذين كانوا متجمعين خارج الأسوار، وكذلك قائد فرقة من جيوش السلطان لحضور المشهد تكريما للبرتغال، الذي تم يوم 29 أكتوبر سنة 1888.

"سفارة برتغالية إلى فاس للتهنئة وتحرير العبد فاتح":

في ربيع سنة 1889، تم الترخيص لممثل البرتغال بالتوجه في مهمة خاصة إلى بلاط فاس حيث كان يوجد السلطان مولاي الحسن، لتهنئته باسم جلالة ملك البرتغال السيد الدون لويش الأول، وذلك على النجاح الذي حققه في حملته الصعبة ضد قبيلة بني مكَيلد الشهيرة في التخوم الجنوبية لدولته، وهو الانتصار الذي أعاد لمولاي الحسن هيبته التي أضاعتها المحاولة الفاشلة التي قام بها قبل ذلك بمدة قصيرة، ضد ثوار قبيلة غياثة في الطريق بين فاس ووجدة، بسبب المقاومة الشرسة التي لقيها في ذلك الإقليم الخارج عن السلطة.

كانت هذه التهنئة أيضا أمرا عاديا جدا، ومبادرة لبقة من قبل الحكومة البرتغالية، ردا على الحل المُرضي الذي عرفه نزاع العرائش في الخريف السابق. أرسل السلطان حامية كبيرة العدد

59 -Vasco da Gama – Rainha de Portugal

لمرافقة السفارة البرتغالية من طنجة إلى فاس. وسارع حكام مختلف الأقاليم الموجودة في الطريق من أصيلا والعرائش والقصر الكبير، إلى تحية السفارة بحماس، مصحوبين بفرسانهم، الذينكانوا يقومون فرحين بسباق التبوريدة التقليدي.

وعند الوصول إلى فاس، كان الاستقبال رائعا، وكان عدد كبير من السكان ينتظرون بشوق شديد السفارة البرتغالية، التي استقبلت من آخر مرحلة في سيدي اعميرة إلى العاصمة من فرق الجيش المغربي المتجمعة هناك، وقد أحدث هذا الاستعراض لفرق الخيالة والأعلام التابعة لمختلف الحكام، على طول الطريق، أثرا بليغا [في نفوس البرتغاليين].

عومل المبعوث البرتغالي والوفد من قبل السلطان مولاي الحسن ووزرائه بمظاهر عديدة من الحفاوة والتقدير، مقدما على ذلك دليلا قاطعا إلى سفير جلالة الملك، وهو تحرير العبد الشهير فاتح، الذي كانت بعثات سابقة قد طلبته من السلطان، وبذلت من أجله أكبر المساعي، بدون جدوى.

بعثت جمعية لندن لمناهضة الرق"Anti-Slavery Society" بهذه المناسبة شكرها وتهنئتها إلى ممثل البرتغال، في العبارات التالية:"تتقدم الجمعية بأفضل تشكراتها إلى فخامة السيد كلاصو، وزير البرتغال بالمغرب، على تدخله لصالح العبد فاتح، وتهانئها على نجاح مساعيه".

"سفارة السرغيني إلى لشبونة": في يناير 1890، أرسل السلطان مولاي الحسن سفارة إلى بلاط لشبونة برئاسة القائد الفائق الإحترام السرغيني، باشا إحدى المناطق الجنوبية الهامة بامبراطورية المغرب، مرفوقا بعدد كبير ومختار من الشخصيات، وذلك لتهنئة جلالة الملك المخْلص باسم صاحب الجلالة الشريفة. حملت السفارة معها عشرة خيول بتجهيزتها العجيبة، وهدايا أخرى فخمة، وتم إرسالها مثل السفارة السابقة على متن الباخرة الحربية " الهند".

وكانت البرتغال قد عرفت وفاة صاحب الجلالة السيد الدون لويش الأول، المأسوف على ذكراه التي لا تنسى. وقد نفذ السفير المغربي مهمته في عبارات لائقة ومعبرة عن العواطف العميقة مما جادت به قريحته، في هذه المهمة المزدوجة، للتعزية في هذه الحادثة المحزنة، وتقديم التهاني الحارة للإبن المحبوب والخليفة الجدير بخلافة والده المتوفى، جلالة الملك السيد الدون كارلوش الأول، على ارتقائه عرش أسلافه، الذي أصبح يتبوأه بعد وفاة والده العظيم. حظي السفير باستقبال مفعم بالحفاوة من قبل جلالته وبلاطه، وعاد إلى لشبونة مع الوفد المرافق له، وهو في غاية الامتنان على العناية ومراسيم الاستقبال التي كانت السفارة محلا لها، على الرغم من الحادث الحزين الذي خيم بظلاله على البلاد.

"حادثة مليلية": في بداية سنة 1894، وقعت بمليلية، الموقع الإسباني الموجود بمنطقة الريف، حادثة خطيرة كان بالإمكان أن تؤدي إلى نشوب نزاع بين الدولتين. شيد الإسبانيون حصنا على

"سيديورياش"[60] ، وهو موقع على حدود تلك المدينة، وداخل ترابها، لكنه كان محاذيا لأحد المساجد. لكن الريفيين، الغيورين إلى حد التطرف في المسائل المتعلقة بالدين، والمستعدين للقتال، منعوا الإسبانيين من إتمام عملية البناء، مطلقين عليهم عيارات نارية من بنادقهم. لم يتمالك العريف موركّالو، حاكم المدينة، نفسه، وبادر كجندي متحمس للقتال إلى مهاجمة الريفيين، بما توفر لديه من قوات بالحامية، وكان ذلك سوء تقدير منه للنتائج، لأن القوات التي جمعها كانت ناقصة جدا وعاجزة عن صد الريفيين الذين اكتسحوا الأراضي التابعة للمدينة، وقتل العريف عند خروجه من أحد الحصون التي كان بها، على إثر هجوم من المكتسحين "الريفيين"، مؤديا حياته ثمنا لجرأته، ومحاولته التي ينقصها التبصر، لأن أفضل ما يمكن القيام به في هذه الحالات، واعتمادا على تجارب سابقة، هو أن يترك للدولة المغربية أمر إعادة الريفيين إلى النظام، وبالتالي استمرار عمليات بناء الحصن. وذلك اعتمادا على اتفاق السلم الموقع بين إسبانيا والمغرب في ودراس، في أعقاب نهاية حرب 1859-1860. لكن الرأي العام في إسبانيا، المتأثر بالهزيمة التي أصابت حامية مليلية، طالب من دولته إرسال فرق عسكرية لمعاقبة الريفيين، على أساس أن هؤلاء قاموا بمهاجمة فرقة عسكرية داخل منطقة نفوذ الحصن، وقد اضطرت الحكومة مرغمة وبدون كبير تفكير إلى الرضوخ لضغوط الرأي العام، وأرسلت الجنرال مارتينس كامبوس إلى مليلية على رأس خمسة وعشرين ألف رجل مع مدفعية ممتازة للحملة،

---

60 -Sid Guariash

وكل ما يلزم لإعطاء درس قاس للريفيين. لكن الحكومة الإسبانية كانت على علاقة طيبة مع السلطان، ولذلك فإن التوجيهات التي أعطيت للجنرال اقتضت بأن لا يتجاوز الحدود لمهاجمة الريفيين خارجها، وأن ينتظرهم داخلها. وهنا تكمن المشكلة. فقد تفطن الريفيون للأمر، وعندما شاهدوا جيشا من هذا الحجم، لازموا مساكنهم ومخابئهم بدون الذهاب إلى حدود المحلة الإسبانية؛ وبعد انتظار لا فائدة منه، عاد الجيش إلى إسبانيا بدون تحقيق أهدافه. قررت حكومة إسبانيا، في ظل هذه الظروف، إرسال نفس الجنرال مارتينيس كامبوس بصفته سفيرا فوق العادة، ومعه وفد كبير إلى مدينة مراكش، حيث كان يوجد السلطان مولاي الحسن في ذلك الوقت، وتم الاتفاق - كما كان منتظرا- على تفعيل الاتفاق المذكور، وإرسال فرق شريفية إلى الريف لمعاقبة المهاجمين، وإرغامهم على احترام حق الإسبانيين في بناء حصن بسيدي قريش، الذي سيبقى داخل حدود الأراضي التابعة لمليلية، على الرغم من أنه قريب من أحد المساجد. وأسندت قيادة هذه الفرق العسكرية إلى الأمير مولاي عرفة ابن عم السلطان. وتوصل السفير كذلك إلى وعد من الحكومة المغربية بأداء مصاريف الحكومة الإسبانية المترتبة عن الحملة إلى الريف، والتي تسبب فيها السلوك العدائي للريفيين.

انتهى الموضوع إذن على هذا الشكل المؤسف، بسبب ارتباطه بعدد من الظروف غير المتوقعة. فقد ارتأى السلطان، بعد مدة قليلة من رجوع البعثة الخاصة المذكورة إلى إسبانيا، أن يبعث سفيرا إلى مدريد، ليلتمس من حكومة جلالة الملكة

الكاثوليكية، بعض التعديلات الممكنة المتعلقة بمبلغ التعويضات التي التزم بدفعها للسفير مارتينيس كامبوس. وعين لهذه المهمة أحد الأعيان وهو بريشة بصفة سفير فوق العادة لدى صاحبة الجلالة الملكة الوصية، وتم نقله هو والوفد المرافق له والهدايا النفيسة، على متن سفينة حربية إسبانية من طنجة إلى قادس.

خصص للسفير بريشة استقبال رسمي من قبل ديوان مدريد، الذي حاول ترضيته بقدر الإمكان؛ وقد رغب الإسبان في أن يعود السفير إلى بلده وهو على غاية الانبهار، ولذلك فقد خصصت له حكومة صاحبة الجلالة الكاثوليكية عند وصوله إلى قادس، بارجة حربية لركوبه، على نفقتها، ووضعتها تحت تصرفه لإيصاله إلى طنجة، وهي البارجة المسماة "الملكة الوصية"[61]. لكن رحلة هذه البارجة كانت للأسف مشؤومة، لأن الظلام كان قد حل عندما وصلت السفينة إلى طنجة، ونظرا لسوء أحوال الجو لم يكن بالإمكان القيام بعمليات الإنقاذ، كما أنها لم تستطع انتهاز فرصة الليل للعودة إلى قادس بسبب وجود السفير المغربي على متنها، وضرورة إنقاذه في الفرصة القادمة، في صباح اليوم التالي، وهو ما وقع بالفعل؛ لكن، وبما أن أحوال الجو ساءت، وتحولت إلى عاصفة قوية في اتجاه غرب - جنوب غرب، وعند محاولة البارجة "الملكة الوصية" العودة إلى قادس، في خضم الإعصار الجارف الذي هب يوم 10 مارس 1895، ضاعت ولم يظهر لها أثر. ويعتقد أنها لم تستطع مقاومة صدمات الأمواج العاتية. وزاد من

---

61 -Reina Regente

خطورة الوضعية أن السفينة كانت تقل على متنها مدفعية ثقيلة الوزن من عيار كبير موضوعة على سطحها. فغرقت وغاصت إلى قعر البحر مع أربعمائة رجل من طاقمها وراكبيها، وكل ما كانت تقله على متنها. وتشكل هذه الحادثة حالة نادرة، لأنه لم يعثر على أي أثر لبقايا السفينة أو حمولتها أو طاقمها، سواء في الشواطئ المغربية أو الإسبانية أو في البحر. ابتلع البحر كل شيء، وكان على إسبانيا أن تبكي بمرارة أبناءها الأبطال المكونين لطاقم "الملكة الوصية" الذين انتزعوا من حضن عائلاتهم ووطنهم، وماتوا ميتة جد مثيرة ومجيدة، كما أبى سوء طالعها إلا أن تفقد في نفس الوقت واحدة من أفضل سفنها في ذلك الوقت. وكان كل هذا نتيجة محزنة لحادثة مليلية !!

"وفاة السلطان مولاي الحسن": مات السلطان مولاي الحسن في صيف سنة 1894، عندما كان عائدا من عاصمة الجنوب مراكش إلى شمال الامبراطورية، وكان يعتزم التوقف في الرباط قبل التوجه إلى فاس، وبما أنه كان في صحة جيدة، ولم يكن يبدو عليه أي مؤشر يدل على أن نهاية حياته ستكون جد قريبة، لم يخل الأمر من وجود من نسب هذا الحادث المؤلم إلى كوب شاي أو قهوة مسموم، كما جرت العادة لدى المغاربة عند الحديث عن أمير يكون مستهدفا للحسد والحقد، أو ملوك لا يتمتعون برضى شعبهم، وبمجرد أن يأخذهم الموت، يتركون وراءهم عرشا في وضعية تسمح لعدد غير محدود من المدعين بترشيح أنفسهم.

لكن مولاي الحسن كان شخصية محبوبة لدى الجميع، وأسطورة الكأس لم تكن مقبولة. وبنفس السهولة التي يتشبع بها هؤلاء العرب بهذه الفكرة التي تحدث بسماء إيمانهم ما يشبه الزوبعة، فإن الهدوء الذي تلاها والناتج عن روية هادئة محا من أذهانهم هذه الأفكار ليحل محلها اعتقاد متفائل بأن مولاي الحسن، الذي تعرض خلال حياته، لحرارة الشمس المحرقة في رحلة شاقة، سقط في النهاية مريضا من حمى أو ضربة شمس في الرأس، أو ما شابهها من الإصابات المميتة؛ وهو هدوء يعززه اعتقاد راسخ في وجدان المسلمين، تعبر عنه العبارة المثل:" مكتوب من عند الله ".

في المغرب، حيث كل شيء مبهم، وحيث لا توجد قوانين مكتوبة، يظل القرآن هو المصدر الذي يعتمد عليه المسلمون في تكييف أعمالهم، التي تصطبغ على العموم بصبغة الدين بشكل لافت. وقانون الخلافة، موكول إلى إرادة الملك الذي يتصل نسبه بالرسول، وبدون أن نذهب بعيدا فإن ثامن ملوك الدولة الحالية، مولاي سليمان، قرر أن لا يكون خليفته واحدا من أبنائه، ولكن ابن أخيه مولاي عبد الرحمان، لأنه ارتأى أنه أكثر صلاحية ليحكم البلاد جيدا من أبنائه أنفسهم. تمت وفاة السلطان مولاي الحسن قريبا من الرباط، وانتقل إلى ذلك المكان، الابن المفضل عبد العزيز الذي بايعته فرق الجيش الشريفي على الفور امبراطورا للمغرب بفضل التأثير القوي للحاجب القديم سيدي أحمد بن موسى، الملقب ببا حماد، الحاكم الذي كان مربيا وخادما للأمير في صغره، والذي عينه "مولاي الحسن" خلفا لأبيه العبد القديم وصديق الأسرة الملكية سيدي موسى بن احمد.

"المغرب في عهد السلطان مولاي عبد العزيز"

"البيعة": في ظل هذه الظروف الإيجابية، حصل مولاي عبد العزيز، الذي كان مرفوقا بوصيه الوزير الأكبر با احماد، وعلى الرغم من صغر سنه الذي لا يتعدى 15 سنة في ذلك العهد (1894)، حصل على بيعة الرباط، ثم على بيعة موانئ الامبراطورية الأخرى على التوالي، حيث تلقى الناس قرار مولاي الحسن بأن يخلفه ابنه المفضل ورفيقه مولاي عبد العزيز على العرش.

وانتقل مولاي عبد العزيز من الرباط إلى فاس، حيث تم الإعلان عنه في الأخير ملكا، وتم الاحتفال ببيعته، على الرغم من سريان إشاعات مغرضة بين سكان المناطق الأخرى عن مدينة فاس، وعن موقفها الرافض لقبول عبد العزيز كسلطان، وعلى الرغم من أنه لم يستقبل بمظاهر الابتهاج المطلوبة.

أما في شمال المغرب فقد استقر الأمر على تقديم فروض الطاعة للسلطان الجديد، وكذلك الشأن في كل الأقاليم الشاطئية إلى موغادور، إلا أن هذا لم يمنع من ظهور بعض الخلافات هناك مع حكام القبائل المجاورة التي سويت في معظمها، ما عدا قبيلة الرحامنة الكبيرة التي ظلت في حالة عصيان، وظلت لمدة طويلة في وضعية غير عادية إلى أن تمكن باشا موغادور مع القواد التابعين

له من القيام بعمليات ضد الثوار، وتمكنوا من إخضاعها نسبيا. وأقول نسبيا لأن الخضوع الكامل والمطلق لم يتم أبدا.

أظهرت الظروف بأنه إذا كان صعود مولاي عبد العزيز إلى العرش الشريفي قد لقي قبولا بشكل عام، فإن ما لم يستطع وراثته عن أبيه بسبب بداية مزاولة مهامه الملكية في سن صغيرة، كان هو الهيبة. لم تكن سلطة الملك الشاب قوية في ظل مثل هذه الظروف غير المواتية؛ ولم يكن يتوفر على فرق عسكرية كافية لتغطية حاجيات أية نقطة في البلاد تطلب تدخله؛ وكان عدد القبائل غير الراضية كبيرا، وأدت أشياء من هذا القبيل إلى أن الأسفار إلى الداخل لم تكن توحي بالثقة، وأن القوافل التي تنقل السلع التجارية من الموانئ البحرية إلى الداخل والعكس، كانت معرضة لخطر كبير وتعاني من الخسائر.

تشكلت في فاس نواة جيش شريفي لمرافقة السلطان في حملاته المزمعة بأقاليمه الجنوبية، وتوصل بالفعل إلى تحقيق ذلك معطيا بعض الدعم المعنوي للوضعية؛ لكنه فقد خلال مقامه بمراكش مرشده ومستشاره الذي كان يوجهه في حكم البلاد، با احماد؛ ولم يكن بإمكان رجال البلاط المحيطين بالسلطان سد هذا الفراغ؛ لكن الملك الشاب أظهر قدرته وتوفره على مؤهلات طبيعية من الذكاء، لأنه تمكن من ترك تلك المناطق من البلاد في جو، وإن لم يكن طبيعيا بالمرة، ولكنه كان واعدا باستقرار الأمن بين القبائل المضطربة.

عاد صاحب الجلالة الشريفية إلى فاس، وعندما كان في خضم حملات جديدة أدت إلى تهدئة الوضع العام للامبراطورية، وقعت حادثة سيئة كانت سبب الثورة التي انفجرت في تازة، برئاسة الشهير الروگي.

"**حادثة مقتل رعية بريطاني**": يعود أصل المشكل إلى أن أحد الطائشين المتعصبين الذين يفرزهم سكان تلك المدينة العاصمة، حيث يلتقي عدد كبير من الناس للتعامل الحضري، قام باغتيال رعية بريطاني، أسقطه بطعنة وجهها إليه عندما رآه يشتري سلعة ما من أحد المتاجر، حسب ما قيل، وقال بعض الناس إن القتيل اعتاد انتقاد ديانة البلاد، وكيفما كان الأمر فإن القاتل لجأ إلى الاحتماء بالمسجد الكبير القريب منه وهو مسجد مولاي إدريس. تم إخبار السلطان بالمسألة، وعبر عن أحسن النوايا في إظهار ما يخالجه من إحساس تلقائي بالعدالة والنزاهة في حادثة على هذا القدر الكبير من الخطورة، لكن بدون التفكير في أن سلوكه من أجل تحقيق العدالة قد يمس الشعور الديني لشعبه، وأمر فورا قوة مسلحة بإخراج المعتدي من الضريح، وتقديمه للمحاكمة أمام القاضي الأكبر من فقهائه الذين حكموا بأنه مذنب باعترافه الصريح، وبأنه قام بعملية الاغتيال هذه للانتقام من كافر تجرأ على التبول على الجوانب المقدسة المجاورة للمسجد، وأمر بإعدامه بدون أي تأخير أو انتظار لأية إجراءات قضائية.

كانت هذه حالة نادرة بالمغرب، من حيث السرعة التي تم بها البت في المشكل، كما أن تصرف السلطان خلف ارتياحا

لدى مواطني الضحية، واعتبر مثلا على ما يجب القيام به للتصدي لتعصب الموريين ضد المسيحيين؛ أما بالنسبة للرعايا المغاربة كان مدعاة لسخط عميق، وخاصة بالنسبة لمسألة انتهاك حرمة المسجد الذي أخرج منه المسلم الذي احتمى به بالقوة، بدون مراعاة عادات البلاد، والذي لا يمكن إخراجه منه إلا بوسائل مقنعة أو بوسائل لا تمس الشعور الديني العام. في هذه الظروف، ساد تخوف في فاس من وقوع اضطرابات، لكن وقع تفاديها بسبب مجلس ضم كبار أعيان المدينة، زيادة على الفرق العسكرية المجتمعة هناك؛ لكن قبائل المناطق المجاورة بدأت بالتأهب في اتجاه الثورة، ولذلك فإن نفس الاستعدادات أخذت طريقها إلى تازة، في الطريق بين فاس ووجدة. من هناك انطلقت الثورة المفتوحة التي ارتكزت دعائمها على تازة، بقيادة الشهير الروگي، المطالب بالعرش.

"ثورة الروگي": وعلى الرغم من أن السلطان لم يكن يتوفر على قوات كبيرة، فإنه اعتمد على وزير للحرب نشيط، وشجاع ويقظ، وعلاوة على ذلك قادر على قيادة الجيوش التي ذهبت لمهاجمة الثوار، وهو القايد المنبهي، الذي انطلق فعلا للحرب ضدهم. لم تكن بداية الحملة مثمرة بسبب الغارات الليلية المباغتة التي كان الجيش الامبراطوري يتعرض لها قبل الوصول إلى نواحي تازة، وأدى منظر الناس المنهزمين الذين عادوا من ساحة المعركة إلى فاس، إلى الاعتقاد بتعرض الجيش لهزيمة، مما عرض عرش مولاي عبد العزيز للخطر، لدرجة أنه انطلق التفكير جديا في طريقة لإنقاذ شخص السلطان والتخلي عن فاس. كان رد فعل الجيش الشريفي، الذي أعيد تنظيمه بقيادة القائد الشجاع

المنبهي، انتصارا حقيقيا لهذه الفرق العسكرية التي تمكنت بفضل هجومها الشرس على ثوار تازة من الاستيلاء على تلك المدينة الهامة، وفر الروگي مع أتباعه وتمكنوا من الإفلات والهروب في اتجاه منطقة الريف. وأعطى هذا الانتصار متنفسا لمولاي عبد العزيز الذي أصبح بإمكانه الاطمئنان على نفسه من نتائج الموقف العدائي المتنامي الذي ظهر هنا وهناك في المدن والقبائل، والماس بهيبته، على أساس أنه تصرف بدون احترام المؤسسات الدينية بالبلاد، وأنه صديق للمسيحيين. إلا أن ما تم صرفه من جهود، كان ضروريا لمصلحة الحكم الملكي، وشكل مناسبة لإظهار الحزم والسلطة اللتين كانتا تنقصان الملك الشاب.

تميز المشهد السياسي في الفترات الأخيرة بالمغرب بظهور شخصيات ساهمت في الأحداث وأثرت فيها، مثل الروگي والمنبهي والريسولي[62]، ولذلك يظهر لي أن تقديم بعض المعلومات عنها لا يخلو من أهمية، وأبدأ بالمنهزم في تازة وأعني به:

الروگي، أو أيضا الزرهوني، كان أحد سكان مولاي إدريس زرهون، وهي مدينة مقدسة عند الموريين، تقع على تل رائع، وبجانبها في غرب وشمال غرب فاس، اعتادت القوافل والسفارات التوقف في آخر محطة لها قبل التوجه إلى العاصمة، وتقضي الليل خارجها، وأحيانا في سيدي اعميرة، للاستعداد والدخول إلى الإقامة الملكية بكل مظاهر التشريف المعتادة.

62- يسميه المؤلف الريسولي وليس الريسوني، غالبا اعتمادا على سماعه لنطق الاسم.

المنبهي، انتصارا حقيقيا لهذه الفرق العسكرية التي تمكنت بفضل هجومها الشرس على ثوار تازة من الاستيلاء على تلك المدينة الهامة، وفر الروكَي مع أتباعه وتمكنوا من الإفلات والهروب في اتجاه منطقة الريف. وأعطى هذا الانتصار متنفسا لمولاي عبد العزيز الذي أصبح بإمكانه الاطمئنان على نفسه من نتائج الموقف العدائي المتنامي الذي ظهر هنا وهناك في المدن والقبائل، والماس بهيبته، على أساس أنه تصرف بدون احترام المؤسسات الدينية بالبلاد، وأنه صديق للمسيحيين. إلا أن ما تم صرفه من جهود، كان ضروريا لمصلحة الحكم الملكي، وشكل مناسبة لإظهار الحزم والسلطة اللتين كانتا تنقصان الملك الشاب.

تميز المشهد السياسي في الفترات الأخيرة بالمغرب بظهور شخصيات ساهمت في الأحداث وأثرت فيها، مثل الروكَي والمنبهي والريسولي[62]، ولذلك يظهر لي أن تقديم بعض المعلومات عنها لا يخلو من أهمية، وأبدأ بالمنهزم في تازة وأعني به:

الروكَي، أو أيضا الزرهوني، كان أحد سكان مولاي إدريس زرهون، وهي مدينة مقدسة عند الموريين، تقع على تل رائع، وبجانبها في غرب وشمال غرب فاس، اعتادت القوافل والسفارات التوقف في آخر محطة لها قبل التوجه إلى العاصمة، وتقضي الليل خارجها، وأحيانا في سيدي اعميرة، للاستعداد والدخول إلى الإقامة الملكية بكل مظاهر التشريف المعتادة.

62- يسميه المؤلف الريسولي وليس الريسوني، غالبا اعتمادا على سماعه لنطق الاسم.

كان الروكَي من علماء مدينته الذين يحظون بالتقدير، وكان مفعما بالطموح لتولي منصب سام، وعندما علم أن المنبهي، الذي كان آنذاك بمراكش، يعمل في الخدمة الخاصة لبا احماد، الوزير الأول للسلطان، توجه إلى البلاط السلطاني بمراكش، حيث تمكن من ربط علاقات صداقة مع المنبهي، وعندما رأى ما كان لهذا الأخير من نفوذ في البلاط، طلب منه أن يتذكره إذا ما قيض له التعيين في منصب سام، ويتوسط له في الحصول على منصب مناسب له. وأكد له المنبهي الوعد بأنه سيفعل ذلك بمجرد وصوله إلى المكانة المطلوبة. إلا أن الأمور سارت بشكل مخالف، فعندما مات الوزير الأكبر با حماد، عين المنبهي وزيرا للحربية، ولكنه لم يكتف بالتنكر لوعده للروكَي، وإنما عامله بمعاملة غير لائقة، تخوفا من منافسته له، وهو الذي كان يتوفر على مهارة ومعرفة عملية بالبلاد، وتبحر في العلم، مبعدا إياه من إمكانية استعمال وساطات أخرى تمكنه من بلوغ هدفه.

وجد السلطان نفسه في مشاكل ناجمة عن مظاهر الغليان الثوري التي انطلقت نتيجة لأحداث فاس، وارتأى الزرهوني أن الوضعية مناسبة لتحقيق مخططاته، وانتقل إلى خدمة الثوار، وتمكن من كسب ثقتهم لدرجة أنهم عينوه على رأس الثورة، وتم الاتفاق مع القبائل على مدى مساهمة كل منها في تقديم العون الذي يلزمه.

كل الناس يسمونه الروكَي، ومعناه الثائر، وهكذا بدأ النزاع المذكور بين جيوش السلطان والثوار الذين استولوا على

موقع تازة الاستراتيجي، الموجود في مكان عال في الطريق بين فاس ووجدة.

وهكذا، إذا كان النزاع في شكله العام يبدو وكأنه يدور بين الثائر ومولاي عبد العزيز، فإن الذي كان يقود الجيشين هما الزرهوني والمنبهي؛ ولنا أن تصور إذن، الرغبة المسعورة في الانتقام التي صاحبت هجوم هذا على ذاك، والهياج اليائس الذي اعترى المنبهي، بعد الهجوم الليلي المفاجئ الذي أدى إلى انهزام الجيش الشريفي، ورد فعله ضد خصمه. كان الصراع داميا، واستولى المنبهي بالقوة العنيفة على موقع تازة الهام، وتمكن من تشتيت قوات الزرهوني بعد أن ألحق به خسائر كبيرة وأسر العديد من رجاله، بدون أن يتوصل - مع ذلك- إلى إلقاء القبض على الروكي، الذي هرب في اتجاه الريف - كما ذكرنا أعلاه.

اتجه الروكَي إلى ذلك الإقليم، وهو ملاذ مستعص لعدد من المسلمين الذين يرغبون في اللجوء إليه، وأيضا لعدد من المارقين. وهناك أعاد تنظيم رفاقه في السلاح بتلك المنطقة، وقام تجنيد متطوعين من أنصاره في المنطقة الحدودية، بهدف الشروع في حملة جديدة ضد القوات السلطانية، والتقدم إلى فاس، إذا كان بمقدوره الوصول إليها، أو انتظارها في نواحي الريف إذا ما تمكنت من الوصول إلى هناك.

لم يكن الروگي، المكنى عند العامة "بوحمارة" أي أب الأتان[63]، هو ذلك الأمير المزعوم الذي يقولون إنه مولاي أحمد عم السلطان، المسمى طورطو، ولكنه ببساطة الزرهوني؛ وإذا تمكن من جمع قوة عسكرية كافية، فإنه سيتمكن لا محالة من خلع السلطان، وتولية نفسه بدله، بعد أن ينجح في تحقيق هدفه، لاعبا على ورقة الإيمان الشديد لهؤلاء المسلمين الذين يعتبرون مولاي عبد العزيز صديقا حميما للمسيحيين، والروگي المدافع المتحمس لأولئك الذين يتبعون الإسلام بدقة. ومع ذلك، فهو لا يزال لحد الآن، مستقرا مع جيشه في الريف، الذي يعتبر - كما يعلم الجميع - منطقة من امبراطورية المغرب، توجد في وضعية استقلال دائم عن الإدارة المغربية، لأنها في الواقع، تحكم نفسها بنفسها، وسكانها لا يعترفون إلا بالسلطان، ويحترمونه بصفته من ذرية النبي؛ وكذلك الشأن بالنسبة للضرائب، فهم لا يدفعون أكثر مما يرغبون في دفعه عن طيب خاطر لمبعوثي السلطان، وعندما تقع مشاكل بين السكان، فإنهم يحتكمون إلى قادتهم الريفيين باستقلال عن سلطة المخزن المركزية التي تعتبر هناك مجرد سلطة اسمية.

يمكن أن نفسر هذا النوع من الاستقلال المتفق عليه ضمنيا من المخزن، بأن منطقة الريف كثيرة الجبال ووعرة، وسكانها دائما مسلحون، ومشهورون مثل النحل اللاسع، ويدافعون عن أنفسهم بسهولة ضد أية قوة يرسلها السلطان إلى هناك

63- في الواقع وقع سوء فهم وخلط للمؤلف ، لأن المقصود هو صاحب الأتان، مثلما هو الشأن بالنسبة لبومعزة، وبوسلهام..الخ.

لإخضاعهم. وبما أن أية محاولة كهذه، في بلد يعيش ظروفا خاصة مثل المغرب، تستلزم نفقات تفوق إمكانيات الخزينة الشريفية، زيادة على الأخطار الأخرى غير المتوقعة، فإن الوضعية في الريف استمرت على هذا الحال على مدى سنوات طويلة.

إلا أن السلطان لم يفرط - مع ذلك - في سيادته على ذلك القسم من الأراضي المغربية، وكان يرى نفسه مسؤولا عن الأضرار التي يحدثها الريفيون، وكان بعضها، يقع ضد ملاحة الدول الأجنبية الممثلة بامبراطورية الشرفاء.

حاول الروكَي - حسب آخر الأخبار- أن يقوم بعمليات عسكرية بمحاذاة نهر ملوية ضد الفرق العسكرية التي أرسلها السلطان لمطاردته، قصد منعه من القيام بأي هجوم على وجدة، التي تعتبر بالنسبة للمخزن حيوية للمواصلات مع الحدود الجزائرية، وفعلا فشلت جهود الدعي بفضل الانتصارات التي حققتها القوات المذكورة عليه، لدرجة أن السلطان أرسل التهاني إلى قائده في العمليات العسكرية بملوية، مشجعا له على القيام بهجومات جديدة بقصد إنهاء الثورة.

"الريسوني": أما بالنسبة للريسولي، الشخصية التي ارتبطت بشكل وثيق جدا بالأحداث التي وقعت بمنطقة طنجة، والتي شغلت كثيرا الصحافة المحلية والدولية. من المعلوم أنه عندما اندلعت الثورة ضد مولاي عبد العزيز، وعلى الرغم من الهزيمة التي لحقته في تازة، فإنه بفضل همة وشجاعة المنبهي، فإن حكام

الأقاليم البحرية وجدوا أنفسهم ممتعين بالهدوء الذي عم القبائل التابعة لأقاليمهم. في الموانئ المحيطية حيث يمكن للقبائل المجاورة أن تكون أسهل انصياعا "انضباطا" منها في طنجة، بسبب استقرارها على أراضي مستوية إلى حد ما وفي متناول الحركات العسكرية للحكام، ولذلك لم تعبر عن مظاهر كبيرة للعداء، ما عدا ما أشرنا إليه من العصيان الذي وقع في الرحامنة، إقليم موغادور، الذي دخل هو أيضا في الطاعة وساده الاستقرار.

"**وصف لأحوال طنجة**": إلا أن طنجة، تقدم لنا أمثلة نادرة للتناقضات التي شابت طاعة القبائل المجاورة في الوقت الحالي؛ وهذه المدينة التي كان من المفروض أن تحافظ على ظروف الاستقرار المثالية، بالنظر إلى كونها ميناء المضيق الذي يضم الإقامات الرسمية لممثلي الدول الأجنبية في البعثات والقنصليات، وحيث يقطن الوزير الممثل للسلطان لدى هذه الهيئات، وهو المعروف كثيرا منذ مدة سيدي محمد الطريس، وهو الآن مصحوب بعدد من ممثلي المخزن؛"في هذه المدينة" التي أقيمت بها محطات البريد والتلغراف التي تصل المغرب بالعالم الخارجي، والبنوك والمؤسسات التجارية الهامة؛ والميناء الذي ترتاده باستمرار سفن عسكرية أجنبية، سواء في زيارات رسمية أو رحلات تدريب للتلاميذ الضباط بالبحرية، والتي تزورها بشكل يكاد يكون يوميا طوربيدات من جبل طارق في مهام لقضاء خدمات أو لنقل شخصيات سامية إلى هذا المركز الدولي أو العاصمة الدبلوماسية الذي ترفرف فيه أعلام الدول المتقدمة التي تعطي نموذجا للنظام والتقدم والقوة. تحولت طنجة هذه، مؤخرا، من الأمان المثالي الذي رفلت فيه منذ عهود طويلة، إلى المركز الأشد

خطورة بالساحل المغربي، نتيجة للأسباب التي سيتم توضيحها لاحقا، وهو أمر يدعو للأسف، لأنه زيادة على ما ذكرناه عن شروط الإقامة الرسمية وغيرها من الامتيازات، التي من شأنها أن تجلب لها التقدير الكبير، فإن مناخها شبيه تقنيا بمنلخ جزيرتنا ماديرا، وهي مسجلة في برامج الرحلات، كمدينة أهل لأن تزار، بسبب ما يثيره طابعها الشخصي من فضول لدى الأجنبي. وهكذا تأتي إلى طنجة الكثير من يخوت الاستجمام، وعابرات المحيطات الكبيرة التي تقل المئات من المسافرين من الشخصيات السامية والسواح، الذين ملوا من عرباتهم وقطاراتهم وسياراتهم ومصاعدهم ودراجاتهم وحتى من الطرق المستوية مثل موائد البليار، وغيرها من وسائل الراحة والتسلية الموجودة لدى الدول المتحضرة، ويغتنمون الفرصة للاستمتاع بركوب البغال والخيول والحمير التي يهيئها لهم الموريون مع تجهيزاتها الأصيلة المكونة من الثوب الأحمر. وبعد الاستقرار الضروري بالفنادق، يجوبون تلك الأراضي التي لا تتوفر على طرق معبدة، ويزورون المآثر القريبة من المدينة، ويشهدون في توافق وانسجام تام مع الأهالي، "الحلقات" التي تسرد فيها الحكايات الغريبة، وتتم فيها الألعاب المورية المعروضة في حلقات دائرية تلقائية على الهواء الطلق، حيث يقوم العرب بمبارزات بالأسلحة والعصي، ويقوم السوسيون بحركات بهلوانية صعبة، مما يزيد من فرح وابتهاج السكان، وكذلك الرجل المروض لحية الكوبرا، الذي يجعل الزواحف تخضع لسلطته بشكل خطير ينتزع تصفيقات المشاهدين.

ولا تتوقف الانطباعات عند هذا الحد، لأن الأجنبي، يمكنه أحيانا أن يتصيد فرصة التمتع بالعيون الساحرة للمغربيات، اللاتي

خطورة بالساحل المغربي، نتيجة للأسباب التي سيتم توضيحها لاحقا، وهو أمر يدعو للأسف، لأنه زيادة على ما ذكرناه عن شروط الإقامة الرسمية وغيرها من الامتيازات، التي من شأنها أن تجلب لها التقدير الكبير، فإن مناخها شبيه تقنيا بمنلخ جزيرتنا ماديرا، وهي مسجلة في برامج الرحلات، كمدينة أهل لأن تزار، بسبب ما يثيره طابعها الشخصي من فضول لدى الأجنبي. وهكذا تأتي إلى طنجة الكثير من يخوت الاستجمام، وعابرات المحيطات الكبيرة التي تقل المئات من المسافرين من الشخصيات السامية والسواح، الذين ملوا من عرباتهم وقطاراتهم وسياراتهم ومصاعدهم ودراجاتهم وحتى من الطرق المستوية مثل موائد البليار، وغيرها من وسائل الراحة والتسلية الموجودة لدى الدول المتحضرة، ويغتنمون الفرصة للاستمتاع بركوب البغال والخيول والحمير التي يهيئها لهم الموريون مع تجهيزاتها الأصيلة المكونة من الثوب الأحمر. وبعد الاستقرار الضروري بالفنادق، يجوبون تلك الأراضي التي لا تتوفر على طرق معبدة، ويزورون المآثر القريبة من المدينة، ويشهدون في توافق وانسجام تام مع الأهالي، "الحلقات" التي تسرد فيها الحكايات الغريبة، وتتم فيها الألعاب المورية المعروضة في حلقات دائرية تلقائية على الهواء الطلق، حيث يقوم العرب بمبارزات بالأسلحة والعصي، ويقوم السوسيون بحركات بهلوانية صعبة، مما يزيد من فرح وابتهاج السكان، وكذلك الرجل المروض لحية الكوبرا، الذي يجعل الزواحف تخضع لسلطته بشكل خطير ينتزع تصفيقات المشاهدين.

ولا تتوقف الانطباعات عند هذا الحد، لأن الأجنبي، يمكنه أحيانا أن يتصيد فرصة التمتع بالعيون الساحرة للمغربيات، اللاتي

يخفين جسمهن كله بشكل مثالي، ولكنهن يتركن أعينهن تلمع من خلال "الحايك" التقليدي الذي يغطي قوامهن الرشيق؛ يمكن القول بما أن العيون هي مرآة الروح، فإن المرأة المغربية بهذا المظهر المتمثل في المفاتن الكامنة تحت الملابس الفضفاضة التي تلفها، ترمز إلى أرض المغرب، التي تخفي تحت غطائها البربري المفاتن التي احتفظت بها للحضارة. وهكذا، فالمرأة الوفية للمهمة التي فرضها عليها اشتراكها مع الحية التي عملت على فقدانها هي ورفيقها للخلود الذي منحه الله لهما في نعيم الجنة الذي لا يوصف، ظلت مالكة، سواء تعلق الأمر بخلقها أو بجنسها، لسر مواساة البشرية عن صنوف العذاب التي تلحقها بها في هذا العالم الأرضي المسمى بوادي الدموع، حيث نفي الرجل بحياته القصيرة، وهذا الإنقاذ للروح كان هو المهمة المقدسة لشهيد كَولكَوتا[64].

نوتات الموسيقى الشرقية، سواء كانت مرحة صاخبة، أو حزينة بطيئة، يتم عزفها من قبل الموسيقيين المحليين للتسرية عن المحبين، سواء في المقاهي المورية، أو في حفلات الأعراس وغيرها من الحفلات، وهي لا تزال عاملا شديد الأهمية مساهما في الإحساس اللذيذ بالرضى الذي تحدثه كل هذه النشاطات الآسرة في روح الزائر الأجنبي الذي يودع مدينة طنجة متحسرا.

يقولون هناك إنه لا يفرق بين سواحل المدنية وسواحل التخلف سوى مضيق مليء بالماء المالح، مبعوث أولئك الذي

64 -Missao do Martyr do Golgotha

يدعي أنه جاء لإصلاح هؤلاء، يجد، وهو يبدأ أول مرحلة من هذه المنطقة الإفريقية المجهولة، عالما مخالفا، وبدلا من مكان جاف ومنفر غارق في التخلف المظلم، يجد مجموعة كاملة من اللوحات الحية الساحرة، ورقًا رائعا من المظاهر الخارقة للعادة وكأنها شاشة عرض ضخمة، ويجد خيال المسافر المذهول نفسه مذعنا ومحفوفا بسعادة وكأنه يعيش في الواقع قصص ألف ليلة وليلة.

كيف إذن، "تغيرت أحوال طنجة"؟، التي كانت تتحلى بكل هذه الامتيازات: الحفلات المسلية والنشاطات الجذابة، وحيث كان الأمن العام في المدينة وخارجها دائما مثاليا، وكانت تستضيف أعدادا كبيرة من الناس، والتي، كانت في الماضي، وحتى في الأوقات العصيبة التي تحتدم فيها صراعات شرسة وطويلة بين المرشحين من أفراد الأسرة الحاكمة، يمكن القول إنها كانت نموذجا في الحفاظ على الأمن والطاعة بين قبائل الباشوية، باستثناء بعض الخلافات الصغيرة التي يتم إخمادها بسهولة، تُقدم في الأحداث الأخيرة المتعلقة بالسياسة الداخلية، التي أشرت إليها أعلاه، انحرافا مؤسفا جدا عن التقاليد الموروثة لسلطتها بالبادية. هذا ما سأقوم بتوضيحه:

"**الاعتداء على وفد الباشا ونائبه**": هناك عامل واحد فقط كاف لتوضيح هذا الوضع المأساوي للأمور، وهوالذي وقع منذ ما يزيد قليلا عن سنتين. لا يوجد ما هو أسوأ - وخاصة في بلد مثل هذا- من انعدام الخبرة لدى الموظف، وهذه هي الوضعية السيئة التي يوجد عليها الباشا الجديد، الصادق بركَاش، ابن الوزير المتوفى سيدي محمد بركَاش، الذي كان قبل سيدي محمد الطريس.

قرر السلطان تجميع الفرق العسكرية في فاس، وأمر حكامه بالأقاليم والموانئ البحرية، بأن يرسلوا إليه ما يمكنهم من القوات؛ كانت الحاجة ملحة إلى تدعيم قوات العاصمة، حيث كانت تتم إعادة تنظيم الجيش عقب العمليات العسكرية بتازة، ترقبا لأي احتمالات تستدعي نجدة البلاط. هناك شيء لم يضعه باشا طنجة الجديد في الحسبان، وهو ذلك السخط المكتوم والسائد بين قبائل الإقليم، وترك نفسه ينقاد من قبل نائبه، القائد عبد المالك، الذي تنقصه الكفاءة كذلك، لأنه كان لديه أعداء كثيرون في تلك القبائل، وكان عليه أن يعرف بأن حامية الباشا يجب أن تكون كبيرة العدد، ولكنه لم يخصص لمرافقة الباشا سوى حامية قليلة لا تكاد تتعدى خمسين رجلا ممن كانوا جاهزين في ذلك الوقت، ومعظمهم ريفيون؛ وحتى وإن كانوا جديرين بالثقة الكاملة، فإن الانتقال بتلك القوة الضئيلة لإنجاز مهمة في وضعية الاضطرابات، وقلة الأمن التي توجد عليها تلك القبائل، كان غلطة فادحة؛ إلا أن الباشا خرج مع ذلك، وأقام محلته في "عين الدالية" على بعد حوالي عشرة كلمترات من المدينة.

وفعلا، بمجرد أن أقام الباشا محلته، بدأت مجموعات مسلحة في الظهور، ثم تكاثرت في لحظات بشكل كبير، ونزلت فجأة على مخيم الباشا، الذي كان عاجزا عن المقاومة بحاميته المحدودة لذلك العدد الكبير من الناس المسلحين، وعلى الرغم من أن الريفيين المدافعين عنه اتخذوا مواقعهم لقتال ميئوس منه ، فإنه منعهم من ذلك، لأنه، زيادة على افتقاره إلى كفاءات عسكرية نشيطة وفعالة، اضطر إلى الرضوخ لموقف القبائل

المندفع، التي هددت بأن تجعله يكابد نفس المصير الذي أعدته للقائد عبد المالك إذا لم ينسحب على الفور إلى طنجة، وهو ما فعله وعلى محياه آثار الحزن الشديد. لم يكن لهذا الحادث، بالشكل الذي تم به، أي شبيه في السابق. وعلى إثر ذلك قام المتمردون بالقبض بقوة على عبد المالك، الذي كانت لديهم عنه شكايات خطيرة بسوء معاملته للعديد من البدويين الذين لجأوا إلى الحاكم في فترات مختلفة للحصول على حقوقهم بواسطة عبدالمالك، الذي لم يكن ييسر لهم ذلك إلا بعد الحصول على عطاءات سخية، بالإضافة إلى ما لحقهم منه من أصناف الإهانة. وبعد أن قام الثوار بتذكير عبد المالك بمسؤوليته عن المظالم المذكورة، نفذوا ضده انتقاما رهيبا، فقد بدأوا بإجلاسه على بردعة، وأخذوا يتجهون صوبه وكأنهم يقصدون الباشا نفسه، ويعيدون تمثيل دور المشتكين الذين يقدمون شكاواهم، وكل هذا بضجيج كبير وسخرية وقحة، مكيلين له الصفعات والركلات.

كان بالإمكان أن تتوقف الأمور عند هذا الحد، فالدرس في حد ذاته كان قاسيا، بغض النظر عما إذا كان القائد مذنبا أو بريئا، وكان بالإمكان أن ينصرفوا راضين بعد هذه الحادثة والتوديع المهين الذي تعرض له باشا الإقليم؛ لكن هذا لم يتم، لأن هؤلاء الموريين المدفوعين بعطش شديد إلى الانتقام الذي كان ينهشهم، قاموا بارتكاب عمل شنيع وغير إنساني، وهو إحراق عينيه بحديد محمي، تاركين الشقي عبد المالك في حالة لا يمكن تصورها من البؤس، بعد هذا التعذيب القاسي، وكانوا بصدد رميه إلى الكلاب لولا التدخل السريع من قبل الباشا الهارب، لدى

أبناء شريف وزان الكبير، المقيمين بطنجة، الذين تدخلوا لدى القبائل الثائرة من أجل تسليم عبد المالك، الذي ظل عاجزا تماما، واعتكف في بيته كفيفا.

عانى باشا طنجة إذن، أكثر ما يمكن تصوره من الإهانات المترتبة عن هذا الحادث المهين من قبل القبائل في مناطق حكمه؛ وقد تم إبلاغ السلطان بهذا الحادث كما وقع بواسطة بريد مستعجل من الباشا، والكل يأمل أن لا يتأخر العقاب الصارم حتى لا يلقَى إلى الأرض بهيبة أول سلطة عسكرية ومدنية بالإقليم وهو الباشا، الذي يعتبر حاكما باسم السلطان، وممثله في هذه الوظائف. إلا أن هذه النتيجة المتوخاة لم تتم، وهذا هو أصل الأحداث المؤسفة التي وقعت بطنجة.

تتالت كل هذه الأحداث مصحوبة بالتعاليق، ويقال بأن القبائل كتبت هي أيضا إلى السلطان شارحة له المضايقات والمظالم التي كانت عرضة لها سابقا من قبل عبد المالك. والوضعية حاليا تتمثل في بقاء القبائل مسلحة بدون الإذعان لطاعة الباشا، وقد امتدت هذه الوضعية المضطربة إلى ضواحي تطوان وأصيلا، وبذلك ظلت المناطق المتاخمة لطنجة غير آمنة بشكل خطير.

"ظهور الريسوني": في هذه الظرفية ظهرت شخصية الشهير الريسولي، الذي اتجه لمهاجمة أصيلا حيث يحكم الباشا معززا بحامية غير كافية، وكان الباشا عبد الصادق عدوه اللدود، وهو الذي سيخلف القائد بركّاش على باشوية طنجة، لكن هذا

القائد المقدام لم يتمكن من الدخول إلى أصيلا مع جيشه المتحمس، ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى أسوار المدينة البرتغالية، التي لم ينل منها توالي السنين، وكانت قوية بما يكفي لصد الهجوم وحماية باشا تلك المدينة، وذكرى مجيدة للبرتغال.

حاربت تطوان بشجاعة الثوار الذين اضطروا إلى التخلي عن أهدافهم بفضل العدد الكبير للمتطوعين المسلحين من الناس الذين كان الباشا يعتمد عليهم، والذين تطوعوا جميعا للدفاع عن مساكنهم.

يمكن لقائل أن يتساءل عن أحوال مدينة طنجة في هذه الظروف، فهي توجد مفتوحة من جهة البر، ولو أراد الثوار الدخول إليها، وقد مرت عليها أيام بدون أن تصل إلى مينائها سفن حربية، لأمكنهم ذلك بدون أن يجدوا قوة كافية لمنع الغزو؛ لكن، لم يقع ما يمكن اعتباره حدثا هاما، ولعل ذلك يعود إلى أن الموريين الحاليين، وعلى الأقل أولئك الموجودين في الأقاليم البحرية، لم يعودوا أولئك الذين كانوا في العهود السابقة، الذين كانوا ينساقون بسهولة إلى القيام بمذابح ضد المسيحيين لإرضاء مشاعرهم المشحونة بالتعصب الديني، وكانوا يقومون بذلك دائما بسبب نقص السلطة القادرة على صدهم؛ أما الآن، فإن هذا الشعور بالعداء للأجناس الأخرى خافت، ومن جهة ثانية، فتجارتهم مع المسيحيين مهمة لهم، وأيضا، بالنسبة لطنجة، فهي تحظى ببعض الاحترام لدى الثوار أنفسهم، وهم يتخوفون من مهاجمتها حتى لا يتعرضوا لضغوط حكومات الدول الأجنبية الممثلة بتلك المدينة.



ومع ذلك لا يجب الركون كثيرا إلى هذه الترتيبات المطمئنة، وبالنسبة لقبائل داخل البلاد لا يمكن ضمان أنها ستتخلى عن حالتها البدائية، التي تشكل خطرا على المسيحيين الذين يسافرون بدون الحماية الضرورية. ولعل الزمن، وإدخال الإصلاحات الضرورية، وتطور التجارة الدولية التي ستنتشر في كل البلاد، سيؤدون إلى زوال هذه الاصطدامات، ومساواة سكان الداخل بسكان الموانئ البحرية.

استمر إقليم طنجة في وضعية غامضة وغير طبيعية، بسبب من العوامل المعروضة أعلاه، والمتعلقة بحادثة عبد المالك، وتم إرسال الباشا عبد الصادق من أصيلا إلى طنجة، اعتقادا بأنه يملك من الحماس والنشاط ما يمكنه من معالجة الأوضاع السيئة، لكن تبين أنه لا يمكن أن يقع أي تقدم من دون إرسال قوات كثيرة من السلطان. وهذا الأخير لم يكن يتوفر على الكثير من الجنود، وحتى تلك النجدات الشريفية التي كانت تأتي مع مرور الوقت لتخيم بالقرب من طنجة، صرفت جهودها إلى ما تستطيعه وهو تهدئة الدواوير المضطربة بالمناطق السهلية. لكن قبائل الجبال مثل بني مزوار، وجبل الحبيب، وبني عروس وغيرها حيث استقرت أعداد كبيرة من المجموعات المسلحة التي تعيث فسادا في الإقليم، وتقوم بالاعتداءات والنهب للمسافرين والقوافل، وحتى البريد، هذه القبائل ظلت بدون عقاب، لأن جنود السلطان، كانوا في معظمهم من الفرسان، وبالنظر لنقص عددهم لم يكن بإمكانهم القيام بشيء ضد الريسوني الذي كان القائد المعلن للثوار، الذين لم يتجهوا نحو القوات السلطانية لمهاجمتها في المناطق السهلية التي خيمت فيها وحيث يمكنها أن تناور بشكل إيجابي.

أصبحت شخصية الريسولي تستأثر أكثر فأكثر بتعاليق وأحاديث الناس، واهتمام الرأي العام في البلاد وخارجها، وحتى السلطان نفسه، الذي لم تتعد معرفته به قصة رعية ثائر، لا يعرف عنه سوى الأخبار الواردة من السلطات المحلية والأجنبية في طنجة، الراغبة في الحصول على الأمن الضروري للمناطق المجاورة للمدينة، وللطرق المعرضة لاعتداءات اللصوص، أصبح يولي أهمية خاصة وحقيقية لمسألة الريسولي، لأنه فهم، على ما يظهر، أن ما قام به من اختطافات، وضع الحكومة المغربية في مصاعب مع حكومات الدول الصديقة، وأنها تمثل رغبة في الانتقام ضد المظالم التي كانت عائلته ضحية لها من قبل السلطات التابعة للسلطان والتي اتسم أداؤها لعملها بالضعف والتهاون.

كما هو معلوم، فإن أول اختطاف تم من قبل الريسولي كان للسيد هاريس، مراسل جريدة التايمز في لندن، وهو الشيء الذي نتج عنه مفاوضات مثمرة من أجل الحصول على الحرية للمختطف. وهو ما ساعد عليه، علاوة على التحرك النشيط لوزير جلالة الملكة البريطانية، عامل معرفة السيد هاريس التامة بالأهالي، وكأنه واحد من سكان البلاد.

لكن الريسولي، لم ير أن هذا الحادث البسيط كفيل بإيصاله إلى مستوى يشفي غليله ويحقق أهدافه، ولذلك قرر أن يسدد لكمة أكثر حسما، فنصب فخا، وهاجم في ليلة صيفية من سنة 1904، ملكية توجد في البادية تسمى العيدونية، في الجبل الكبير بطنجة، للسيد بيرديكاريس، وهو رعية أمريكي - شمالي، جد

معروف. كان الريسولي مرفوقا فقط بحوالي عشرين رجلا، لأنه لو أتى بعدد أكبر من الرجال فسيثير إليه الانتباه، وبالتالي تفشل محاولته، وتمت مفاجأة الأمريكي عندما كان يتجول مع عائلته بكل أمان في البساتين بعد تناول العشاء. ولم يتمكن الخدم، وهم أول ضحايا الهجوم المباغت أن ينذروه بالهجوم، ولم يتمكن السيد بيرديكاريس ولا أبوه السيد فارلي وهو رعية بريطاني من القيام بأي رد فعل لتلافي عملية اختطافهم، لأنهم كانوا عزلا من السلاح، وأخذوا على غرة. بينما كان رجال الريسولي جيدي التسليح ومستعدين لمواجهة الموت؛ لدرجة أصبحت معها المقاومة بدون جدوى، وفيها مجازفة وخطر على العائلة، ولم يبق لها إلا الاستسلام للخوف والقلق الطبيعي. وبعد مغادرتهم للمكان إلى مسافة طويلة من المدينة، لم يكن باستطاعة النجدات أن تصل، ما عدا بعض الطلبات بالتلفون. وفي الوقت الذي كان من الممكن أن تتلافى فيه عملية الاختطاف الذي قام به الريسولي، كان هذا الأخير يقل السيدين بيرديكاريس وفارلي على الجياد بكل سرعة، مغتنما ظلام الليل والطرق المنعزلة حتى لا ينكشف أمرهم.

استأثرت هذه الحادثة بكل تفاصيلها باهتمام الصحافة المحلية والأجنبية لكل البلدان. كان الريسولي قويا في إقامته خلال تلك الأيام على جبل مولاي عبد السلام، الذي لم يسبق أن وطأته قدم أي مسيحي، مع أسراه المحروسين من قبل قوات من الجبليين في خدمته. ومن هناك طالب بفدية-سبعين ألف دورو من أجل إطلاق سراح المسجونين، وإطلاق سراح بعض الأشخاص من معارفه ممن كان الباشا قد اعتقلهم، وفوق ذلك عزل

عبدالصادق وسحب جيوش السلطان المخيمة بالقرب من طنجة. ونسبت إلى الريسولي رسالة مصاغة بلغة متينة، يعلن فيها أنه لا يرغب في شيء لنفسه، ولكنه يقصد بعمله عدوه اللدود، الذي طالما سبب له الأذى، القائد عبد الصادق، ويطلب أن تؤدى فدية السبعين ألف دورو التي يطالب بها من أجل تحرير برديكاريس وفالري من مال هذا الأخير؛ وأنه سيؤدي من هذا المبلغ مائة دورو لكل فتاة تعرضت لاعتداء من قبل جنود الباشا؛ ومائة دورو لكل مسكن أحرق، والباقي لتعويض الفقراء الذين دمرت محاصيلهم ونهبت مواشيهم. انتهى الأمر بأن تم تسليم المسجونين ودفع مبلغ السبعين ألف دورو بأمر من السلطان، لأن حكومته تلقت احتجاجا ملحا من ممثل أمريكا الشمالية مدعوما بسبع سفن حربية راسية في مرسى طنجة، من أجل أن يتم إطلاق سراح السيد بيرديكاريس والسيد فارلي، الذي احتج وزير بريطانيا العظمى في نفس الوقت على اعتقاله بشدة، مدعوما بحكومته، وتم تسليم الأسيرين في الأخير من قبل الريسول، الذي لم يقبل ذلك إلا عن طريق تدخل أبناء شريف وزان. وخاصة الأكبر مولاي علي، الذي تكفل بتنفيذ الشروط برضى من المعنيين. وهكذا، باختصار، انتهى هذا الموضوع الشائك لعملية الاختطاف هذه التي لم تكن متوقعة.

المغرب بلد استثنائي من وجهات نظر متعددة، غامض، مختلف عن الشعوب الأخرى، عجيب بل قد يكون ظاهرة مدهشة بسبب الحالات الخاصة به، والتي تظهر فيه في ظروف حاسمة، نادرة، مستعصية على الفهم ولا مصداقية لها بالنسبة لأولئك

عبدالصادق وسحب جيوش السلطان المخيمة بالقرب من طنجة.
ونسبت إلى الريسولي رسالة مصاغة بلغة متينة، يعلن فيها أنه لا يرغب في شيء لنفسه، ولكنه يقصد بعمله عدوه اللدود، الذي طالما سبب له الأذى، القائد عبد الصادق، ويطلب أن تؤدى فدية السبعين ألف دورو التي يطالب بها من أجل تحرير برديكاريس وفالري من مال هذا الأخير؛ وأنه سيؤدي من هذا المبلغ مائة دورو لكل فتاة تعرضت لاعتداء من قبل جنود الباشا؛ ومائة دورو لكل مسكن أحرق، والباقي لتعويض الفقراء الذين دمرت محاصيلهم ونهبت مواشيهم. انتهى الأمر بأن تم تسليم المسجونين ودفع مبلغ السبعين ألف دورو بأمر من السلطان، لأن حكومته تلقت احتجاجا ملحا من ممثل أمريكا الشمالية مدعوما بسبع سفن حربية راسية في مرسى طنجة، من أجل أن يتم إطلاق سراح السيد بيرديكاريس والسيد فارلي، الذي احتج وزير بريطانيا العظمى في نفس الوقت على اعتقاله بشدة، مدعوما بحكومته، وتم تسليم الأسيرين في الأخير من قبل الريسول، الذي لم يقبل ذلك إلا عن طريق تدخل أبناء شريف وزان. وخاصة الأكبر مولاي علي، الذي تكفل بتنفيذ الشروط برضى من المعنيين. وهكذا، باختصار، انتهى هذا الموضوع الشائك لعملية الاختطاف هذه التي لم تكن متوقعة.

المغرب بلد استثنائي من وجهات نظر متعددة، غامض، مختلف عن الشعوب الأخرى، عجيب بل قد يكون ظاهرة مدهشة بسبب الحالات الخاصة به، والتي تظهر فيه في ظروف حاسمة، نادرة، مستعصية على الفهم ولا مصداقية لها بالنسبة لأولئك

الذين يسمعون عنها في الخارج بدون أن يسبق لهم العيش في المغرب؛ من ذلك، فيما يتعلق بالريسولي، الذي يعتبر بصفة عامة زعيما لعصابة من اللصوص، فإن ما يثير الاستغراب أن نراه يتحول إلى سلطة على درجة كبيرة من الأهمية؛ وضامنا للأمن بمضيق طنجة، ويكاد يكون ذلك برضى من الامبراطور بالأمر الواقع.

في الواقع، قد يكون مولاي عبد العزيز رضخ للاعتقاد بأن الريسولي كان ضحية لسلطات البلاد، أو أنه بالنظر إلى استحالة إرسال جلالته الشريفية لفرق عسكرية إلى طنجة، جد قوية وكبيرة العدد لتخمد الثورة، ارتأى أن الريسولي، بما له من نفوذ واضح على القبائل الثائرة، يمكنه ولوحده أن يعيد القبائل إلى الطاعة الواجبة للسلطان، ومدخلا في الاعتبار أيضا وفي نفس الوقت، الحاجة الملحة التي تحتم عليه العمل على استقرار النظام العام لإرضاء الطلبات الملحاحة التي وصلته بهذا الشأن من الممثليات الأجنبية بطنجة، ومن قبل ممثليه الشريفيين أنفسهم. وانتهى الأمر إلى أن السلطان، اعتمادا على كل هذه الأسباب، قرر أن يعين زعيم الثوار، على الرغم من الشهرة الحزينة التي وصمته في البلاد وخارجها، وخوله سلطاته الملكية ، معطيا له قيادة القبائل.

آلت الأمور إلى أن أصبح الريسولي حاليا هو الحاكم القوي لبادية طنجة، والباشا الذي خلف عبد الصادق هو القائد بنهيمة الذي كان قد خلف أباه المتوفى في أسفي سيدي الطيب بنهيمة، وهو نفسه الذي أرسله السلطان مولاي الحسن، أب

مولاي عبد العزيز، سنة 1878 إلى بلاط لشبونة بصفة سفير، من أجل تهنئة صاحب الجلالة الملك السنيور الدون لويش الأول طيب الله ذكراه.

"المنبهي": أما فيما يتعلق بوزير الحربية السابق المنبهي، ثالث شخصية ممن أشرت إليهم في معرض حديثي عن الروكي، فقد كان بدوره هدفا لأحداث غير مفهومة، ويظهر أنها راجعة إلى قلة متابعة الملك الشاب، الذي يضم في بلاطه حاشية في معظمها من المتملقين، الذين يقضون كل أوقاتهم في تدبير المكائد ضد الموظفين المفضلين إلى رئيس الدولة. وفعلا، وبعد الخدمات التي قدمها المنبهي إلى السلطان في تازة، عين عندما كان في مراكش مع مولاي عبد العزيز، لتمثيل ملكه بصفة سفير لدى جلالة الملك إدوارد السابع ملك انجلترا بمناسبة تنصيبه ملكا، وخرج من طنجة إلى لندن بمظاهر التشريف الكبرى وسط ارتياح عام؛ وقام بمهمته خير قيام، واستقبل بحفاوة من قبل العائلة الملكية الانجليزية، وعاد إلى طنجة واستقبل بنفس مظاهر التشريف التي رافقت خروجه. وهناك فوجئ بخبر سري بما يحاك ضده في مراكش؛ وسافر المنبهي على التو إلى تلك العاصمة، عن طريق مازاغان، ومنها تابع السفر حثيثا، حيث وصل في الوقت المناسب لتجنب الخطر الذي وجد نفسه معرضا له. ومع أن هذا التصرف، على غرابته، كان عاديا، حتى من وجهة النظر الدولية، فإنه لم يلاق استحسانا من البلاط البريطاني، لأنه، من جهة، يعبر عن الطريقة الجاحدة التي يظهر أن الحكومة المغربية قابلت بها الخدمات التي قدمها المنبهي في تازة، إلى السلطان مولاي عبدالعزيز،

مولاي عبد العزيز، سنة 1878 إلى بلاط لشبونة بصفة سفير، من أجل تهنئة صاحب الجلالة الملك السنيور الدون لويش الأول طيب الله ذكراه.

"المنبهي": أما فيما يتعلق بوزير الحربية السابق المنبهي، ثالث شخصية ممن أشرت إليهم في معرض حديثي عن الروگي، فقد كان بدوره هدفا لأحداث غير مفهومة، ويظهر أنها راجعة إلى قلة متابعة الملك الشاب، الذي يضم في بلاطه حاشية في معظمها من المتملقين، الذين يقضون كل أوقاتهم في تدبير المكائد ضد الموظفين المفضلين إلى رئيس الدولة. وفعلا، وبعد الخدمات التي قدمها المنبهي إلى السلطان في تازة، عين عندما كان في مراكش مع مولاي عبد العزيز، لتمثيل ملكه بصفة سفير لدى جلالة الملك إدوارد السابع ملك انجلترا بمناسبة تنصيبه ملكا، وخرج من طنجة إلى لندن بمظاهر التشريف الكبرى وسط ارتياح عام؛ وقام بمهمته خير قيام، واستقبل بحفاوة من قبل العائلة الملكية الانجليزية، وعاد إلى طنجة واستقبل بنفس مظاهر التشريف التي رافقت خروجه. وهناك فوجئ بخبر سري بما يحاك ضده في مراكش؛ وسافر المنبهي على التو إلى تلك العاصمة، عن طريق مازاغان، ومنها تابع السفر حثيثا، حيث وصل في الوقت المناسب لتجنب الخطر الذي وجد نفسه معرضا له. ومع أن هذا التصرف، على غرابته، كان عاديا، حتى من وجهة النظر الدولية، فإنه لم يلاق استحسانا من البلاط البريطاني، لأنه، من جهة، يعبر عن الطريقة الجاحدة التي يظهر أن الحكومة المغربية قابلت بها الخدمات التي قدمها المنبهي في تازة، إلى السلطان مولاي عبدالعزيز،

والمكيدة التي كانت تنتظر السفير، كانت تصرفا متسرعا مسيئا إلى البلاط المذكور الذي عاد منه المنبهي فورا بعد أن أدى مهمته الخاصة بشكل مرضي للملكين.

كيفما كان الأمر، في البلاط الشريفي، فإن شيئا غير طبيعي كان يحاك في الخفاء، إما بسبب الغيرة، أو تخوفا من أن يتبوأ وزير الحربية مكانة أعلى، مما أدى إلى زعزعة ثقة المنبهي في نفسه، حيث إنه قد يفقد في ظروف غير مواتية كهذه رضى السلطان، ولم يجد في نفسه القدرة على مقاومة المكيدة التي تحاك من قبل خصومه، لذلك طلب إعفاءه بشكل مؤقت من المنصب السامي الذي كان يتقلده، بذريعة الذهاب لأداء فريضة الحج في مكة.

عاد إذن، إلى مازاغان ومنها إلى طنجة عن طريق البحر، حيث حظي بكل مظاهر التشريف سواء عند نزوله أو إبحاره، وحيته المدفعية بطلقاتها، وتشكيلة من الجنود في أرصفة الميناء، مثلما كان الشأن في الماضي، وبعد ذلك ابتدأ رحلته إلى الشرق. وقد راج الحديث على أنه ذهب إلى لندن قبل أن يذهب إلى مكة، وذلك عن طريق مارسيليا وباريس، بهدف إعلام السلطات العليا بهذه الدول بما كان يقع في مراكش.

بعد أن أنهى المنبهي حجه، عاد إلى المغرب، ونزل في طنجة مرة أخرى محاطا بكل مظاهر التشريف؛ لكن بلغته من مصادر سرية تأكيدات بالأخطار والمكائد التي ما تزال تدبر ضده

من قبل الأعيان الذين يحيطون بالملك، ولذلك قرر البقاء بطنجة عوض القيام برحلة العودة إلى البلاط الشريفي.

ويظهر أنهم أرسلوا من هناك في طلبه بمجرد أن علموا بوصوله؛ لكنه ارتأى تجنب ذلك، خوفا من أن يكون هدفا لأي مكيدة يمكن أن تؤدي إلى حبسه، كما وقع في السابق للكثير من الموظفين المغاربة الآخرين عند تعرضهم، بسبب أو بدون سبب وجيه، لغضب ملكهم. ولم يتأخر كثيرا تنفيذ المؤامرة الخفية التي دبرت ببلاط مراكش، والتي أعلم بها المنبهي بشكل سري؛ حيث إنه، وبدون سابق إعلام، وفي يوم جميل، فوجئ كاتبه من قبل جنود الباشا الذين ألقوا عليه القبض وأخذوه بمحضر هذا الأخير، وكبلوه وأرسلوه إلى العاصمة.

وكان واضحا أن الباشا كان يطيع تعليمات عليا، وبما أن الهدف الأساسي من ذلك بكل تأكيد كان هو المنبهي، فقد كان من الطبيعي أن يتخذ حذره، ويذهب للاتصال بالبعثة الانجليزية، ويرفع عرضا عن هذه المسألة إلى حكومة صاحب الجلالة البريطانية، التي قامت بعمل إنساني يتجلى في التدخل، وتم الاستماع إلى نصائحها الجيدة، لدرجة أنه، وبعد مفاوضات طويلة، تم إطلاق سراح كاتب المنبهي، وبقي هذا الأخير بطنجة، حيث نظم طريقة حياته الجديدة، وكان محل ترحيب كبير من صفوة المجتمع بهذه المدينة، ومحط تقدير كبير من الأهالي.

"بعثة طايانديي إلى المغرب": بعد اتفاق لندن، الموقع بين حكومتي انجلترا وفرنسا في أبريل 1904، والذي نشر في صحافة عدة دول، نظمت في طنجة، بإشراف من ديوان باريس، بعثة خاصة برئاسة السيد روني طايانديي[65]، المبعوث فوق العادة والوزير المفوض لجمهورية فرنسا بالمغرب، وذلك بهدف الذهاب إلى فاس لتهنئة السلطان من قبل رئيس الجمهورية، وحمل جلالته الشريفة على قبول تدابير الاتفاق المذكور المتعلقة بإجراءات التطبيق حسب وجهة نظر الجانب الفرنسي، للمسائل المالية والإدارية والعسكرية للامبراطورية، مع ما في الاتفاق المذكور من مس بالاستقلال والسيادة. وبادرت البعثة الفرنسية، التي ذهبت واستقبلت بمظاهر التشريف والاهتمام، إلى دراسة إمكانية إنهاء المسألة المالية على أحسن وجه، بهدف أن يحصل السلطان على التسهيلات التي سبق الاتفاق عليها والمتعلقة بتحسين الوضعية المتردية التي توجد عليها خزينته، وتم حل هذا المشكل عن طريق قرض من سبعين مليون فرنك، يتم دفعها بواسطة أبناك باريس وهولاندا، وتمت هذه العملية بدون أية تحفظات، وأعلن عنها للعموم بكل تفاصيلها.

وفيما يتعلق بالمهام الأخرى التي كلف بها السيد روني طايانديي، فلا أحد من غير المهتمين شغل نفسه بالتدخل في هذا الموضوع، ولا حتى التشكيك في النزاهة الدبلوماسية التي تميز هذا الموظف المتميز؛ لكن الغرض الأساسي من السفارة، وهو

---

65 -St Renè Taillandier

الذي لا يتحمل فيه نفس الديبلوماسي أية مسؤولية، كان مثار تعاليق مختلفة، ولهذا فإن لا أحد فهم بوضوح كيف أنه من بين كل الدول الموقعة على اتفاقية مدريد ليوم 3 يوليوز 1880، اثنتان فقط يظهر أنهما استأثرتا بمعالجة المسألة المغربية مع إقصاء للدول الأخرى، أو أن أي شخص لا يرى أن الظرف الحالي يسمح بتقديم تقييم لها ، في غياب المعطيات. والحال أنه يتنامى بين السكان، ومنهم الموريون، نوع من انعدام الثقة، بسبب الأحداث المنبثقة عن اتفاقية لندن، وأن ما يتداولونه بينهم من تعاليق بشأنها، يستمد شحنته من عنصر غير عادي، يرجع بذاكرتهم إلى تاريخ المغرب بعد حقبة الغزو البرتغالي.

"**زيارة غليوم الثاني لطنجة**": سأتطرق الآن إلى الزيارة الرسمية التي قام بها امبراطور ألمانيا غليوم الثاني إلى طنجة، يوم 31 مارس 1905، وهي الزيارة التي تسجل - ما يمكن اعتباره- عهدا جديدا في التاريخ المعاصر لتلك الامبراطورية .

كانت توجد بعض قطع الأسطول الفرنسي راسية، وهي هناك منذ الفترة التي تلت اختطاف السيد بيرديكاريس.

وصل صاحب الجلالة الامبراطورية على متن باخرة كبيرة عابرة للمحيط تدعى هامبورگو، مخفورة بطرادة عسكرية[66] من نفس الجنسية، وقد رافقته مجموعة من الشخصيات السامية الألمانية والرسمية، كما ألحق بخدمته الكونت طاطنباخ[67]، المبعوث

66 -Cruzador

67 -Tattenbach

فوق العادة والوزير المفوض لألمانيا في البرتغال، الذي تلقى أمرا بمرافقته إلى طنجة، بصفته خبيرا بأحوال المغرب، الذي شغل فيه بعناية تامة نفس المنصب، وذلك بمناسبة الزيارة التي قام بها صاحب الجلالة الامبراطورية إلى صاحب الجلالة الوفي السنيور الدون كارلوس الأول بلشبونة.

اكتست أرصفة الميناء وطرق المرور والمباني حلة قشيبة من الزينة والفرح ، على قدر ما تيسر إعداده في طنجة، على الرغم من افتقارها إلى ما يكفي لتنظيم استقبال في هذا الحجم؛ إلا أن الامبراطور في الأخير استقبل بحفاوة كبيرة، وأكد أن مستقبليه بذلوا كل ما في الطاقة البشرية لاستقبال جلالته أحسن استقبال، مع اعتبار المدة الزمنية القصيرة الفاصلة بين إعلان زيارته ويوم وصوله.

قامت المدفعية بواجبها كما هي العادة، سواء منها مدفعية البر أو مدفعية السفن الحربية الراسية هناك، وكذلك قباطنتها. والكل تم على أفضل ما يرام، وكذلك الاستقبال من السلطات المختلفة، ومن بينها الأمير الذي أرسله السلطان لتحية صاحب الجلالة الامبراطورية في الرصيف، ولدى البعثة الألمانية، وقد نشرت الصحافة التفاصيل الهامة ذات الصبغة العمومية.

أنا هنا أعرض الجانب الاحتفالي للزيارة فقط، وبما أنني مرغم على عدم إعطاء أية تعليقات سياسية من أي نوع على هذا الحادث، لا يمكنني على الأقل أن أمتنع عن التعبير عن الانطباعات التي شعرت

بها بصفتي شاهد عيان عما وقع، وإلا فإن روايتي المتواضعة حول هذه الزيارة ستظل ناقصة وخالية من أية أهمية. أقول إذن، إنها لصدفة معبرة، أن يوجد سفير فرنسا في فاس في نفس أيام الزيارة، مرسلا إلى ذلك البلاط في إطار الاتفاق الأنجلو فرنسي.

كانت المسألة واضحة للعلن ومشهورة، ولم يكن هناك شيء مستور في الخطاب الهام الذي ألقاه صاحب الجلالة الامبراطور غليوم الثاني أمام الرعايا والتجار الألمان، وبمحضر كل الناس الذين استمعوا إليه.

لا أزعم أنني سأسطر نفس الكلمات التي قالها صاحب الجلالة بهذه المناسبة، وإنما أكتفي فقط بمعناها، الذي كان - إذا ما فهمت جيدا- بأنه لا يحب أن تقدم للسلطان مطالب تتضمن معاملات تفضيلية في المغرب لدول ضدا على مصالح وحقوق الدول الأخرى، وأن حكومته قررت أن لا تقبل تجاهل ألمانيا في أية إجراءات متعلقة بالمغرب من شأنها أن تؤدي إلى نتائج سلبية على الرعايا الألمان. وأن ألمانيا بصفتها مشاركة في صياغة اتفاقية مدريد، وفي المفاوضات التي دارت فيه، والتي أقرت مساواة كاملة في المعاملة مع كل الدول التي ساهمت في ذلك الاتفاق، تتمسك بشدة بتلك الشروط، وتؤكد عليها، وتطالب بالمبدأ الأساسي للباب المفتوح لصالح كل الرعايا الألمان ورعايا كل الدول المذكورة.

يمكن القول إن صوت الفاتحين البرتغاليين القوي، الذين فتحوا في القرن الخامس عشر أبواب إفريقيا أمام الأجيال القادمة،

يتردد صداه قويا، مدعما في الكلمة البليغة للعاهل الجرماني القوي في القرن العشرين، ويجعل لمعنى عبارة الفتح في وقتنا الحاضر، بريقا أكبر، في تناسق مع الطموحات الفطرية للإنسانية، عن طريق تمجيد فتوحات التقدم عن طريق العمل وإقرار المساواة العادلة بين كل الرجال من كل الأجناس وجميع المعتقدات، وتمتيع الجميع بكل حرية بثمار تضحياتهم، ضد أنانية أولئك الذين يهدفون فقط إلى تحقيق طموحاتهم بدون إيلاء أهمية إلى حقوق غيرهم.

كان التأثير الذي خلفته كلمة الامبراطور غليوم الثاني عند نزوله إلى التراب المغربي، والتي اتخذت أساسا لها استقلال هذا البلد ووحدة أراضيه، مرضيا حقا، ونتج عنه لدى الأهالي خصوصا، ارتياح تام وابتهاج.

كان من الطبيعي أن يكون الألمان الذين يشتغلون هنا في مجال التجارة، أول من ابتهج لهذه التصريحات الحازمة، وهم يستحقون جيدا الاستفادة من مزايا الوضعية التي يعرفون كيف يصلون إليها. لأنهم خلال السنوات القليلة التي أقاموا فيها بالمغرب، زيادة على احترامهم قانونيا لحقوق رعايا السلطان، والسلطات ورعايا الدول الأخرى، عملوا بدون كلل على تطوير تجارته بشرف، ضمن دائرة الحركة التي كانت تخولها لهم تلك الامبراطورية، على الرغم من عدم إقامة الإصلاحات المرجوة هناك.



هل من الممكن أن تكون دولة ما قد تضررت من قيام امبراطور ألمانيا بزيارته هذه إلى طنجة، ومن الخطاب الذي استعمله في مقامه ذلك؟ يظهر من جهة أن الجواب هو لا، لأن صاحب الجلالة الامبراطورية طالب فقط بالمساواة في الأرباح والامتيازات لكل الدول، ولم يخص أية دولة بعينها بآراء أو ملاحظات؛ لكن ومن جهة أخرى، أدت الصدفة التي أشرت إليها إلى وجود بعثة خاصة فرنسية في هذا الوقت بالضبط، للتباحث مع السلطان بناء على اتفاقية لندن. وإذا كان علينا أن نتصور أن سلوك سفير الجمهورية لا غبار عليه، هناك ربما من يلمح، من الجهة المنافسة لفرنسا، بأنها تتوفر على امتيازات طبيعية لا تتوفر لباقي الدول الأخرى، وهي أنها مجاورة لامبراطورية الشرفاء من الجهة الغربية لمستعمرتها الهامة بالجزائر، والتي هي بدورها مجاورة من جهة الشرق لتونس، المحمية الفرنسية. ولا زال بإمكان هذه الحساسيات أن تتكاثر لدرجة أن تصل إلى تأجيج الأحقاد القديمة، بسبب ما يقع حاليا، ويتجلى في أنه بمجرد مغادرة امبراطور ألمانيا لطنجة، توجه السيد كونت طاطنباخ Christian, Comte de Tattenbach إلى فاس، بصفة مبعوث خاص لتلك الامبراطورية، لشرح موقف عاهله من تلك المواضيع للسلطان.

في مثل هذه الظروف، لا يمكن لأي أحد أن يحدس ما وقع في فاس. توجد هناك كل من البعثتين الفرنسية والألمانية، في مفاوضات مع السلطان، ويظهر أنهما في موقعين متعارضين حسب سياسة حكومة كل منهما؛ لكن ولحسن الحظ، وصل في

هذه الآونة إلى طنجة، الوزير المفوض الجديد لصاحب الجلالة البريطانية، السيد جيرارد لوثر[68]، وقد أملى عليه حدسه الجيد المبادرة بالذهاب إلى فاس، وهو ما فعله بصفته المبعوث الخاص لدولته، والمكلف بمهمة مزدوجة، وهي تقديم أوراق اعتماده إلى مولاي عبد العزيز، وتنفيذ التوجيهات التي قدمت له بشأن المسألة التي تشغل سفيري فرنسا وألمانيا بتلك العاصمة، حيث إن الحكومة البريطانية تضع في الاعتبار تضامنها مع جمهورية فرنسا حول اتفاق أبريل1904، وفي حالة تعذر ذلك، عليها أن لا تتخلى- في المفاوضات التي يمكن أن تجريها مع الحكومة الألمانية- عن الامتيازات المخولة لها في تعاملها مع المغرب. إن ما يهم الأطراف المتنافسة هو الوصول إلى أرضية للتفاهم، حيث يتم إيجاد وسيلة لحل المسألة لصالح المغرب وفرنسا وألمانيا وبريطانيا العظمى، وأخيرا كل الدول الموقعة على اتفاق مدريد في يوليوز 1880، لأنها جميعا لها حقوق متساوية وضمانات متينة لتطبيقه.

لكن، انضاف إلى إعلان لندن، الاتفاق الفرنسي - الإسباني الذي تم في باريس، والذي يعطي لإسبانيا حقوقا جديدة في المغرب، تابعة للتوافقات الأنجلو فرنسية.

من جهة أخرى، فإن تنحية الوزير ديلكاسي من السلطة، وهو الوزير الذي نسبت إليه ميول عدائية، من قبل العديد

Gerard Lowther -68

ممن يعتبرون خبيرين بالسياسة الحالية، أدى إلى نتائج ظهرت فورا، بانطلاق الأعمال التي تمت بين حكومات ألمانيا وفرنسا وانجلترا، والتي أسهمت بشكل كبير في فتح الطرق لحل بعض المشاكل حيثما كان التوافق ممكنا.

"مؤتمر الجزيرة الخضراء": بقي الكشف عن المصدر الخفي لحل مشرف ومقبول من الجميع، وهو الحل الذي قدم طريقة حقيقية للوصول إلى هذه النتيجة المحمودة، وهو الاستدعاء الذي وجهته حكومة المغرب - من تلقاء نفسها أو بإيعاز من أي معني محترم- إلى كل الحكومات الممثلة لدى جلالة الملك الشريفية، أو تلك التي وقعت على اتفاقية مدريد في يوليوز 1880 وتلك التي التحقت بها فيما بعد، وذلك من أجل رفع المسألة الهامة التي تتم مناقشتها إلى نظر مؤتمر مكون من ممثلي هذه الحكومات باشتراك مع ممثلي السلطان.

يقال بأن مكان الاجتماع كان مقررا في التراب المغربي، بالنظر إلى أن مداولاته ستنصب على المغرب؛ ولكن، ولأسباب لم يكشف عنها، لا يظهر أن الهدف الأساسي من المؤتمر هو موضوع الإصلاحات بهذا البلد بالتحديد، ولكن قبل ذلك، تقريب وجهات النظر للدولتين الأوربيتين القويتين، اللتين تعرضت علاقاتهما منذ مدة بهذه النواحي لانفجار بركان رهيب تتصارع فيه خلافاتهما المتعلقة بالمغرب، وتم الاتفاق على أن يكون مقر المؤتمر في نقطة متحررة من الحساسيات المحلية، وتم اختيار الجزيرة الخضراء لوجودها قرب طنجة، وتوفر خدمة تنقل يومية للبواخر، ومحطات

للبريد والتلغراف تحت تصرف المؤتمرين، وكذلك فنادق مريحة على جانبي المضيق، والهدوء والأمن الشخصي، وحتى سهولة التنقل للأعضاء الذين يشغلون مناصب سامية بمدريد.

وسواء كانت هذه هي الأسباب الوحيدة لاختيار المؤتمر أو غيرها، فهذا لا يهم أولئك البعيدين عن المسألة. كان للجزيرة الخضراء شرف اختيارها، ويكفي معرفة هذا، وأن المؤتمر تكون من ممثلي الحكومات التي بمستطاعها القيام بدور الحكم الوسيط في الخلاف المستعصي الذي يفرق بين الدولتين القويتين اللتين سبقت الإشارة إليهما، نظرا لأن نفس الاجتماع سيزيد من فرص التهديد، خلال سياق المناقشات، بوقوع نزاع خطير، تم تلافيه سابقا في فاس وباريس وبرلين ولندن، واندلاعه خلال المؤتمر الدولي سيؤدي لا محالة إلى تشويه سمعة المؤتمرين وحكوماتهم، ولذلك تحلوا بكامل الحذر والعناية الفائقة الهادفة إلى إزالة العراقيل التي تمنع الوصول لاتفاق. وفي النهاية كللت الجهود بالنجاح تحت تصفيق كل الحكومات الممثلة في المؤتمر، بفضل الحكمة والتصرف السليم المتبنى من قبل الأعضاء المختلفين، وكذلك المجهود الطيب والإرادة الحسنة لزملائهم.

وفيما يتعلق بالإصلاحات المزمع إقامتها بالمغرب، وحسب ما تمت معاينته، لم يشرع لحد الآن إلا في القليل جدا من تلك الإصلاحات الكثيرة التي تحتاجها البلاد، ويمكن القول إن ما يتم الإعداد له بهذا الصدد، يعتبر بحد ذاته خطوة هامة بالنسبة لموضوع من هذا الحجم، لسبب بسيط، يتجلى في أن المغرب بلد

لا توجد حالته الفكرية (الأمر يتعلق بالأهالي الذين يشكلون معظم السكان) وفق شروط النضج المطلوبة، لكي يتمكن من أن يستوعب في دفعة واحدة، إدخال أشكال التطور التي تتطلب الحضارة تحقيقها، في هذه المنطقة الإفريقية الواعدة والقريبة جدا من أوربا. وأنه وبدون شك، يمكنها تحقيق ذلك كما وقع مع شعوب أكثر تمردا وبعدا. وعدا استثناءات قليلة، فإن سكان البلاد ما زالوا لا يفهمون جدوى هذه الإصلاحات، كما لم تفهم قبل من لدن العديد من الدول هي اليوم في أوج التقدم العصري.

هكذا هي الحياة الإنسانية؛ لا يولد أحد متعلما؛ والانتقال من حالة البربرية إلى حالة التحضر يمكن مقارنته بالطفل الذي يبتدئ التعلم بألم جاحد مفعم بالدموع، قبل أن يتم تخصيب رحم معرفته بنور العلم الذي يمكنه من فهم مزايا التهذيب، التي يزعم الكبار ومعلموه أنه يتوفر عليها. لكن، يمكن التساؤل، لماذا نعتبر المغرب بهذا المعنى طفلا وهو في القرن العشرين؟ الجواب بديهي، لأن أوربا العصور الحديثة، التي كان عليها، بحكم جوارها وتزعمها للتقدم في القارة القديمة، أن تكون الراعية المتطوعة لجلب معارف الشعوب المتعلمة، على الأقل خارج المضيق الفقير إلى مزايا المدنية، أهملت هذا اللغز الهام، وهو الوهن المحلي الناجم عن الصراعات السياسية المتجذرة في المغرب، منذ أن كان به تمثيل أوربي ، يعاديه بدون وعي.

كما هو معلوم، لم ير الممثلون المغاربة أنهم مخولون بالتوقيع على بروتوكول المؤتمر مع نظرائهم من الدول الأخرى،

ومن ثم رأى المؤتمرون ضرورة اختيار مبعوث باسم كل الدول، بعد موافقة حكوماتهم، ليذهب إلى بلاط فاس من أجل أن يلتمس من الامبراطور تصديقه على اتفاقيات المؤتمر.

وقع الاختيار، كما كان متوقعا، على المبعوث فوق العادة والوزير المفوض لإيطاليا بالمغرب، عميد الهيئة الدبلوماسية بطنجة، السيد جوليو مالموسي[69]، الذي كان يتوفر، بالإضافة إلى صفته هذه، على معرفة عملية لهذا البلد، وبلغته وعاداته، وبذلك تكون هذه المهمة قد سجلت حالة خاصة، وهي قيام أول سفير في هذه الامبراطورية بتمثيل معظم الدول الأوربية والولايات المتحدة لأمريكا الشمالية لدى العاهل المغربي.

كان السيد مالموسي مرفوقا بالوفد التالي: كارلو سفورزا[70]، السكرتير الأول للممثلية الإيطالية بمدريد؛ والقبطان كريلينزوني[71]، وقائد الفرسان مارتان فرانكلين[72]؛ والجراح القائد فيلسيتي[73]، الملحق الطبي؛ والكونت مينيسكالشي إيريزو[74]، ملحق؛ والسيد أ لاريدو[75]، نائب القنصل ومترجم، والسيدان كارلو وفرديناندو مالموسي، وكلهم إيطاليون. خرجت السفارة من طنجة إلى فاس

---

69 -Julio Malmusi

70 -Carlos Sforza

71 - Grillenzoni da guarda de granadeiros

72 -Martin Franklin

73 -Felcetti

74 -Miniscalchi Erizzo

75 -A.Laredo

مزودة بكل ما هو ضروري لرحلة من هذا النوع، يوم 24 ماي، وتمت تحيتها عند الخروج من قبل السلطات المغربية والممثلين الأجانب، وتمت مرافقتها بحامية السلطان القوية بقيادة القائد حامل العلم الأحمر، وكل ذلك حسب التقاليد الجاري بها العمل.

تدل الأخبار الواصلة من المغرب على أن مهمة السيد مالموسي كانت ناجحة جدا، لأن كرامة السلطان لا يمكنها أن تسمح له برفض اتفاقات المؤتمر التي شارك في صياغتها ممثلوه مع ممثلي الدول الأخرى؛ ولأن لا أحد من هذه الاتفاقات يعارض الدين المحمدي ولا العادات والتقاليد للرعايا المغاربة. وهكذا على سبيل المثال، فإن منع تهريب الأسلحة من شأنه أن يكون تصرفا لطيفا إزاء السلطان، وإنشاء بنك للدولة، يكون مقره بطنجة، لا يمكن أن يسوءه أو أن يثير لديه أدنى ريبة، بالنظر إلى أن مؤسسة مالية كهذه، من المنتظر أن تقدم مزايا كثيرة، ومن بينها أنها ستعمل يقينا على الرفع من قيمة العملة الشريفية إلى قيمتها الحقيقية، خلافا لحالة عدم التقدير الاستثنائية والمتعبة التي وصلت إليها في الآونة الأخيرة، على حساب مصالح الخزينة والأفراد الذين يتقاضون رواتبهم بهذه العملة، وكذلك المعاملات المالية التي تتم بها. وفيما يتعلق بالقوانين البوليسية، فإن الرعايا المغاربة والموظفين الذين المعنيين بها، لا يتذرعون دائما في الاحتجاج عليها سوى بكونها تهدف إلى المس بسلطة السلطان العليا، مع أن هذه الملكية ووحدة الامبراطورية، تم التنصيص



عليها في كل التصريحات والاتفاقات والمعاهدات الدولية، وآخرها في مؤتمر الجزيرة الخضراء[76]

حسب الأخبار الأخيرة، وصلت السفارة الإيطالية إلى فاس يوم 3 من شهر يونيو يونيو، على الساعة التاسعة والنصف صباحا، وتم استقبالها بكل مظاهر التشريف التي تستحقها؛ وخرج للقاء السفير وزراء السلطان وكبار موظفي البلاط، وقوة هامة من الجيش، وكذلك عدد كبير من سكان فاس والقبائل المجاورة. استقبل الوفد الرسمي السفير بحفاوة، مكررا عدة مرات العبارة التقليدية "مرحبا بيك"، وتم إيصال السفير مع الوفد المرافق له إلى المقر المعد لسكناهم في واحدة من أحسن الدور التي كانت قد أعدت كما يجب بأمر من السلطان.

نفس الأخبار تقول بأن كل هذه المظاهر للمحبة والتقدير، كانت تتابع خلال الرحلة من طنجة إلى فاس، وتقدم للسفير من قبل حكام الأقاليم التي يمر منها . وتضيف ما يلي: تم استقبال البعثة الإيطالية المرؤوسة من قبل الوزير السيد مالموسي، عميد الهيئة الدبلوماسية بطنجة، من لدن السلطان في مقابلة علنية يوم 5 من شهر يونيو الحالي، وكان هذا يومين بعد الوصول إلى فاس. خرج مولاي عبد العزيز للقاء السفير محاطا بكل وزرائه وكبار أعيان البلاط الشريفي، مرفوقا بفرقة الحرس السوداء القديمة، وفرق أخرى من الخيالة والمدفعية. وكان

76- يظهر أن موضوع القوانين البوليسية يهم الدول الأوروبية أكثر من المغرب (المؤلف).

الاستقبال الذي أقيم على شرف السيد مالموسي، ممثل أوربا وأمريكا الشمالية ناجحا، وتم تبادل الخطب بهذه المناسبة مع السلطان، بالعربية حسبا للعرف لدى البلاط المغربي، واختتمت المقابلة بتقديم السفير لأعضاء وفده إلى العاهل، ثم برجوع جلالة الملك الشريفي بمظاهر الاحتفال المعهودة.

بعد أن قام السيد مالموسي بتلبية دعوات الزيارة وتبادل التحيات مع مختلف الوزراء، تم استقباله من السلطان في مقابلة خاصة في اليوم 9، حتى يعرض على السلطان موضوع مهمته، وقد حمل معه انطباعات جيدة عن هذا اللقاء.

نشرت جرائد هذه العاصمة اليوم تلغرافا من طنجة، محرر بالأمس 22، وحسب ما جاء فيه، فإن السلطان مولاي عبدالعزيز ، قرر يوم 18 توقيع عقد الجزيرة الخضراء، وأعلم به السيد مالموسي على الساعة العاشرة ليلا من نفس اليوم، وأعلن أنه سيوقع العقد بدون أي تحفظ.

وفي الأخير، إن ما يقع الآن، مؤتمر الجزيرة الخضراء وقبول شروطه من لدن السلطان، إضافة إلى الرغبة العامة لهذه الامبراطورية في الانفتاح، حتى مع دول لم يكن لها معها أبدا أي علاقات واسعة، يظهر أنه يبني مقدمة لعهد جديد في الصفحات التاريخية للمغرب، وهي في صالح هذه الامبراطورية، وفي نفس الوقت لصالح الدول التي تربطها بها علاقات صداقة، ومن بينها

البرتغال التي عليها أن تحتل بكل نزاهة وثقة، المكان الذي تخوله لها الجغرافية والتاريخ والتقاليد بدون نقاش.

تلك إذن باختصار، أهم الوقائع التي جرت بالمغرب بعد مولاي الحسن في السنوات الإثني عشر من حكم مولاي عبدالعزيز، السلطان رقم 82 في المملكة، والثاني عشر للأسرة السابعة الحاكمة حاليا.

لشبونة في 23 يونيو 1906

ملاحظة:

تشير إحدى صفحات هذا الكتاب إلى الاستقلال الذي توجد عليه فعليا منطقة الريف، أؤكد أن السلطان، لم يتخل عن سيادته بتلك المنطقة من الأراضي المغربية، وكان يتحمل المسؤولية عن الأضرار التي يلحقها الريفيون أحيانا، بملاحة الدول الأجنبية، الممثلة في امبراطورية الشرفاء. كان للحكومة البرتغالية تجربة واضحة بهذا الشأن، تتعلق بحالة السفينة التابعة للملاحة التجارية البرتغالية المسماة روزيطا[77]، التي توقفت بشواطئ الريف بسبب شدة الرياح، والتي تعرضت لهجوم من قبل ريفيين مسلحين، قاموا بأسر طاقمها، واحتفظوا بهم إلى حين افتدائهم.

ليس هدفي رواية هذه الحادثة التي يعلم الجميع، كيف كانت نتيجتها المرضية، سواء فيما يتعلق تحرير البرتغاليين

Rosita -77

المذكورين، أو الأداء التام للمبلغ من قبل الحكومة المغربية حسب ما طالبت به الحكومة البرتغالية عن المصاريف الناتجة عن هذا الأسر. هدفي هو أداء واجب يمليه علي ضميري، وهو أنني في تلك الفترة كنت في طنجة، ولم أعد أشغل منصبي القديم، ولاحظت بأن خلفي، الأكثر جدارة الدكتور ألبرتو دو أوليفيرا[78] ، كان في فترة تدريب قنصلي ودبلوماسي في بلد يتوقف فيه النجاح على تدبير الضوابط الدبلوماسية لمن يذهبون إلى هناك لأول مرة. كان الأمر صعبا جدا على السيد أوليفيرا الذي خلف ممثل البرتغال، الذي ينتمي إلى عائلة لها علاقات طيبة مع المغاربة، وخدمات قديمة تعود إلى القرن الثامن عشر. كان الأمر صعبا وشائكا في نفس الآن، لكن مهارته ونظرته الذكية التي عاين بها منذ البداية أوضاع البلاد، مع غيرته على العمل التي لا يرقى إليها الشك، جديرة بأكبر الثناء. لذلك رأيت إضافة هذا العنصر إلى باقي العناصر الأخرى التي حاولت تجميعها في هذا العمل المتواضع.

78 -Alberto de Oliveira

الفهرس

من وصف المؤلف- لمدينة طنجة:

... وبعد الاستقرار الضروري بالفنادق، يجوبون تلك الأراضي التي لا تتوفر على طرق معبدة، ويزورون المآثر القريبة من المدينة، ويشهدون في توافق وانسجام تام مع الأهالي، «الحلقات» التي تسرد فيها الحكايات الغريبة، وتتم فيها الألعاب المورية المعروضة في حلقات دائرية تلقائية على الهواء الطلق، حيث يقوم العرب بمبارزات بالأسلحة والعصي، ويقوم السوسيون بحركات بهلوانية صعبة، مما يزيد من فرح وابتهاج السكان، وكذلك الرجل المروض لحية الكوبرا، الذي يجعل الزواحف تخضع لسلطته بشكل خطير ينتزع تصفيقات المشاهدين... ولا تتوقف الانطباعات عند هذا الحد، لأن الأجنبي، يمكنه أحيانا أن يتصيد فرصة التمتع بالعيون الساحرة للمغربيات، اللاتي يخفين جسمهن كله بشكل مثالي، ولكنهن يتركن أعينهن تلمع من خلال «الحايك» التقليدي الذي يغطي قوامهن الرشيق؛ يمكن القول بما أن العيون هي مرآة الروح، فإن المرأة المغربية بهذا المظهر المتمثل في المفاتن الكامنة تحت الملابس الفضفاضة التي تلفها، ترمز إلى أرض المغرب، التي تخفي تحت غطائها البربري المفاتن التي احتفظت بها للحضارة...

CTP & Impression : Imprimerie Rabat Net Maroc